4me Année, No. 160

Lundi - 27 - 7 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ٢٧ يوليه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة		
١٢٠١	الطماطم السياسى	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٢٠٣	عفواً أيها النقاد	الأستاذ محمد فريد أبو حديد ...
١٢٠٦	ذات الثوب الأرجوانى	الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى
١٢١٠	المقرى مؤرخ الأندلس	الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
١٢١٣	مقتل أبى الطيب المتنبى	الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٢١٨	نظام الطلاق فى الاسلام	الأستاذ أحمد محمد شاكر ...
١٢٢٠	دانتى أليجييرى	د . خ ... ...
١٢٢٤	شعراء الموسم فى الميزان	الأديب عباس حسان خضر ...
١٢٢٨	أثر الحرب الكبرى فى بريطانيا	الأستاذ محمد عمران ... ...
١٢٣١	مقطوعات شعرية (قصيدة)	الأستاذ عبد الرحمن شكرى ...
١٢٣٢	جهاد فلسطين «	الأستاذ أمجد الطرابلسى ...
١٢٣٣	أهل ووطن (قصة)	الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١٢٣٦	أنتيجونى «	الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٢٣٩	الأدب الهندى فى مختلف أطواره	
١٢٤٠	كتاب جديد لمارى ستوبس	
١٢٤٠	أثر تذكارى للموسيقى لست	

الطَّماطم السياسى ...

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

كان (م) باشا رحمه الله داهيةً من دهاة السياسة المصرية . يلتوى مرة فى يدها التواءَ الحبل ، ويستوى فى يدها مرة استواء السيف ، ولا يُرى أبداً إلا متكمِّشاً مُتحرِّزاً كأن له عدواً لا يدرى أين هو ولا متى يقتحم عليه ، ولكنه كغيره من الرؤساء الذين كانوا آلاتٍ للكذب بين طالب الحق وغاصب الحق — يعرف أن عدوه كامنٌ فى أعماله . وكان ذكياً أريباً ، غير أن ملاءَمَتَه للسياسة الدائرة على محورها — جعلت نصف ذكائه من الذكاء ونصفه من المكر . فكان فى مراوغته كأن له ثلاثة عقول : أحدها مصرى والآخر انجليزى والثالث خارج من الحالين

وبهذا تقدم وعاش أثيراً عند الرؤساء من الانجليز ، واستمرت عاريه مطَّردةً لديهم حتى بلغوا به الى الوزارة إذ كان حسنَ الفهم عنهم سريعَ الاستجابة اليهم ؛ يفهم معنى ألفاظهم ، ومعنى النية التى تكون وراء ألفاظهم ، ومعنى آخر يتبرع

هو به لألفاظهم ... فكان هو وأمثاله فى رأى تلك السياسة القديمة رجالاً كالأفكار ، يوضع أحدهم فى مكانه من الحكم كما توضع صيغة الشك لافساد اليقين ، أو صيغة الوهم لتوليد الخيال ، أو صيغة الهوى لايجاد الفتنة

* * *

وكان صديق (فلان) رحمه الله صاحب سره (السكرتير) وقد وثق به الباشا حتى إنه كان يُمَاثِلُه بما فى نفسه ، ويبثُّه همومَه وأحزانَه ، ويرى فيه دنيا حرَّة يخرج اليها كلما ضاقت به دنيا وظيفته ، ويستعير منه اليقين أحياناً بأنه لا يزال معرباً لم يتمَّ بعدُ تحويله فى الكرسى . . . .

فحدثنى الصديق بعد موت هذا الباشا قال : إنه دعاه يوماً ليُفَاتِحَه الرأىَ فى أمر من أموره ، ثم قال له : إن الرئيس الانجليزى غير مطمئن اليك لأن حقيقةً من الحقائق الصريحة ظاهرة على وجهك فأنت تنظر اليه وكأنك تقول له بعينيك إنك مصرى مستقل

قال صاحب السر : لئن كان ذلك مايغضبه إن الخطب لهين ، فلست أنظر اليه بعد اليوم إلا من وراء نظارة سوداء . . . .

فضحك الباشا وقال : يا بنى هذا الانجليزى عندنا كالشيطان « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ، ووالله يا بنى إنى لأشد أنَفَةً منك وإن صدرى لشَجِىٌّ مما أنا فيه من هذا الكرب ، ولكننا نحن الشرقيين قد ضمنا منذ فقدنا الشخصية الاجتماعية

أتراك تفهم شيئاً لو قلت لك : رجلٌ ، أسدٌ ، جبلٌ ، مدينة ، أسطول ؟ إن تركيبنا الاجتماعى شىء كهذا الكلام فيه من ضخامة اللفظ بقدر ما فيه من انحلال المعنى واضمحلاله . ولكل كلة إذا أفردتْ معنى صحيح يقوم بها وتقوم به غير أنه يتحول فى الجملة الى معنى كلا معنى

أصبح الشرقى يعيش فى أمته على قاعدة أنه منفرد لا صلة بينه وبين الأطراف لا فى الزمان ولا فى المكان . ونسى معنى الحديث الشريف : « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً » فاذا كان يريد أعظم المصلحين الاجتماعيين من قوله « كأنك تعيش أبداً » إلا أن يقرر لأمته أن الفرد ينبوع الأجيال المقبلة كلها فليعمل لها ولنفسه كأنها موقوفة عليه وكأنه مستمر فيها

هذه حكمة إسلامية دقيقة عندنا نحن لفظُها ولسنا نعرف معناها ، وعند الانجليز معناها ولا يعرفون لفظها . أهم المسلمون أم نحن ؟

وعلى قاعدة الانفراد انفرد كل شىء ، فآثر الشرقى حياته على وطنه ، وقدَّم لذته على واجبه ، وتعامل بالمال فى مواضع المعاملة بالأخلاق ؛ وكان طبيعياً مع هذا أن يختصر الدين اختصاراً يجعله مقداراً بين مقدارين فلا هو دين ولا هو غير دين ، وبذلك يناسب فرديته ويقعد تحت حكمه وهو خارج عليه . فترى الرجل من هذه الملايين يؤمن بالله وهو يحلف به كذباً على درهم ، ويصلى ويفجر فى يوم واحد ، ويتعبَّد فى نفسه ويخون سواه فى وقت معاً

ومتى كانت الحالة النفسية للأمة هى هذه الفردية ومصالحها ودواعيها كان الكذب أظهرَ خلال هذه الأمة ، إذ هو انفرادُ الكاذب بحظّه ومصلحته وداعيته ؛ ولا يكذب عليك إلا من يرجو أن تكون مغفلاً أو من قدَّر فى نفسه أن المعاملة العامة فى الأمة هى على قاعدة المغفلين . . . ويكذبون فى هذا أيضاً فيسمونه حذقاً وبراعة (وشطارة)

وإذا عمَّ الكذب فشا منه الهزل ؛ فكل كاذب هازل ، وهل يجدُّ الكاذب وهو يكذب إلا إذا كان مجنوناً ؟ ومن الهزل ضربٌ هو الباسطة بالكذب ، ومنه ضربٌ من كذب الحقائق ، ومنه من كذب الخيال ، وكيفما دارت الحال لا تجده إلا كذباً

ومتى صار الكذبُ أصلاً يُعْمَلُ عليه ، تقرَّر عند الناس أن الكلام إنما يقالُ ليقالَ فقط أفلست ترى الرجلين إذا أخبر أحدهما صاحبَه بالخبر فيه شىء من الغرابة أو البعد ، لا يكلمه الآخر أول ما يتكلم إلا أن يسأله : صحيح ؟ صدق ؟

ولا أضر على الأمة من هذه العقيدة — عقيدة أن الكلام يقال ليقال فقط — فانها هى طابع الهزل على أخلاق الأمة وعلى كل أحوالها وعلى حكومتها أيضاً

ومن الهزل والكذب ترانا مبالغين فى كل شىء حتى ليكون لنا الواحد كالآحاد فى غيرنا فنجيئه مائة بصيغة نجيء بأحدها من اعتيادنا الكذبَ على الحقيقة ، ونجيء بالآخر من حقيقة

إفلاسنا . هذه مبالغة خطرة وأخطر ما فيها أننا نريد بها المبالغة فى الدلالة على الأشياء ، فتنقلب مبالغةً فى الدلالة علينا نحن وعلى كذب طباعنا وعلى فوضى العقل فينا . نعم وحتى تُثبتُ أننا لا عزم لنا من كونها مبالغة لا تدقيق فى معناها ، وأن لا صبر لنا من أنها لاثبات لحقيقتها المهزومة ، وأن لا شدة لنا فى طلب الحق لأننا بها من أهل الغفلة فى وصف الحق ، وأننا لا نتمثل العواقب إذ نرسل الكلامَ ارسالاً ولا نخشى ما يكون من عاقبته . وأيسر ما يفهم من هذه المبالغات التى أصبحت طريقة من طرق الشعب فى التعبير — أن هذا الشعب لا يصلح فى شىء إلا بالحكومة ، فهو نفسه كالمبالغة ، والحكومة له كالتصحيح . وهذه هى العلة فى أن الشعب الكذوب يلجأ إلى حكومته فى كل كبيرة وصغيرة فى العمل ، كما أنها هى العلة فى أن حكومته تكذب عليه بكل صغيرة وكبيرة فى السياسة

ومن أثر الكذب الشعبى والمبالغة الشعبية ما تراه من اهتمام كل فرد بما يقول الناس عن أعماله فيُديرها على ذلك وإن قلت منفعتها ، وإن فسدت حقيقتها ، وإن جلبت عليه من الضرر فى ماله ونفسه ما هى جالبة ؛ فقاعدتهم هى هذه : ليس الشأن فى الحياة للعمل فى نفسه ولكن فيما يقال عنه ، فان لم يُقَل شىء فلا نعمل شيئاً . . .

هذه يا بنى أمة لا يكون حكامها إلا مبالغات أيضاً

* * *

قال صاحب السر : وارتفع من الطريق صوت بائع ينادى على سلعته : أحسن من التفاح يا طماطم ...

فضحك الباشا وقال : هكذا يقولون لنا عن الطماطم السياسى المَغفِن ، إنه ليس تفاحاً وحسبُ ، بل هو أحسن من التفاح

إن الأمة لن تكون فى موضعها إلا إذا وضعت الكلمةَ فى موضعها ، وإن أول ما يدل على صحة الأخلاق فى أمةٍ كلمة الصدق فيها ، والأمة التى لا يحكمها الصدق لا تكون معها كل مظاهر الحكم إلا كذباً وهزلاً ومبالغة ؟

(سيدى بشر باسكندرية) مصطفى صادق

(إلى الصابرة) : أعتذر اليك من عدم الرد على كتابك ، فقد أضعته بين أوراق فضاع عنوانك فيه (الرافعى)

عفـــوا أيها النقاد !

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

أطلب اليكم العفو يا معشر الناقدين ، فانى لا أقصد بهذه الكلمة إلا الدعابة والمفاكهة — فقد رأيت الصيف قد اشتد ، واحتدمت وقدته ، وأردت أن أتقرب اليكم بما يزيل لسعته أو يخفف منها — ولا أدرى ما الذى أغرانى بهذه المداعبة المخطرة ، فوالله لقد كنت أرى أن مداعبة الفهود والنمور أهون أمراً وأسلم عاقبة من مداعبة نقاد الأدب . ولقد كانت دونى لو أردت مندوحة عن ذلك التعرض ، فلو شئت لداعبت الأدباء كافة ، ولم يكن على بأس منهم ، فانى لا أخشى من الأدباء بطشاً ولا صولا ، لأنهم يسيلون رقة وليونة ، وقد طبع الله فى قلوبهم وداعة وسلاماً ، فمنهم من يأخذه الجمال فيسلم له قياده حتى ليصير كالحمل يصرفه أضعف الخلق كيف يشاء ، وإن منهم من قد استعرقه الفكر وغلب عليه فلا تراه إلا حالماً لا يكلف أحداً مؤونة فى تصريفه ولا مشقة فى معاملته — فهؤلاء لا يأتى خوف من قِبَلهم ولا يتكلف المرء حيطة فى معاشرتهم — ولكن الناقد — والله يكلؤنا بحمايته ، فيه سلابة ، وله شوكة ؛ فهو دائما معقود الجبين على الصرامة ، محملق العينين على اليقظة ، كثير التجهم واللوم ، فاذا أخذته الرقة أحياناً رأيته يربت على كتف الناس متنازلا من عليائه ، وكل حركة من حركاته تنم عن دخيلة نفسه وكنين عقيدته ، إذ كأنما يقول عند ذلك : « إنا نعطف على هؤلاء المساكين تشجيعاً لهم حتى لا تنكسر قلوبهم »

لست أدرى ما الذى أغرانى بهذه المداعبة إلا أن يكون هذا الصديق العجيب التأثير الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فانه منذ كتب فى النقد وأنا أمانع نفسى وأغالبها لكى أمتنع عن الخوض فى الميدان الذى أثار غباره — ثم هأنذا تغلبنى نفسى على الأمر ، فأكتب للنقاد متعرضاً لما يتعرض له الداخل إلى حظائر السباع

على أنى مع ذلك قد قدمت فى أول قولى أنى إنما أداعب ولا أقصد إلا المفاكهة — فلعل تقدمى على هذا النحو يلوى عنى الشوكة التى أخشاها ، ويكف عنى الغضب والنقمة

لقد حمل الأستاذ أحمد الأمين بحق إلى عصر مضى من عصور

الأدب فى مصر ، وجعل يسير نقاد العصر الحاضر بالتقصير والميل حتى لقد استعبرت من قرط الأسى على ما فات عصرنا الحاضر من جليل النفع . ولكنى ما لبثت أن أفقت من أثر قوله وجعلت أرجع بالذهن إلى العصور التى شهدتها فلم أجد ذلك العصر الذى يؤبنه ويذكر محاسنه ؛ فلعله يشير إلى عصر لم أشهده ولم أعرف شيئاً عنه ، وذلك أنى لم أعد بعد حلقة الخمسين من السن ولا علم لى بما كان قبل ذلك ، وإنى لم أدرك ما كان حولى إلا نحوا من ثلاثين عاما ، وليس فى هذا ما يكفى لأن أرد على الأستاذ حكمه ، فرجائى اليه أن يحدد ذلك الماضى أين وقع ؟ وهل كان منذ ثلاثين عاما أم كان منذ أربعين أو خمسين ، فهو أعلم بما يقول مما شهد فى حياته المباركة إن شاء الله

على أنى إذا كددت الذاكرة فى السنوات الثلاثين التى أدركت فيها ما كان حولى لم أذكر إلا محاولة ضئيلة فى النقد كان أكثرها من شبان أكبر همهم أن تذكر أسماؤهم إلى جانب الأسماء النابهة فى عصرهم — ولقد كانت وسيلتهم دائماً أن ينالوا من مقام أديب نابه لهجت الألسنة بذكره ، لا يقصدون النقد والحق ، ولكن يقصدون أن تتحول الأنظار إلى شخوصهم

ولست أذكر فيما أذكر من تلك السنوات أن تعرض نقد تعرضاً يذكر إلا لأمثال شوقى وحافظ — كأنما النقد قد صب صباً فى قالب واحد ، فهو لا يتسع لغير الشعر وقصائده ودواوينه ، وأما ما عدا ذلك فلا أذكر أن قامت معركة على كتاب من الكتب التى نقلها الأستاذ الكبير فتحى زغلول ، ولا على كتاب مثل (التربية الاستقلالية) ، بل لا أذكر نقداً يذكر قام به النقاد ترجمة حافظ لجزء من البؤساء ، أو قصة (زينب) الهيكلية ، أو ما ألفه المنفلوطى ، أو الأستاذ فريد وجدى

وإنى كلما أدرت الفكر فى ذلك العصر الماضى لم أجد إلا محاولات بسيطة تشبه محاولات الطفولة فى النقد — وقد صدق الأستاذ هيكل فى تصوير ذلك إذ قال إن النقد أول ما يعانيه الأديب الناشىء من المحاولات

فان كان لنا من تعرض الى ذلك الأمر فانا نحمد الله إذ انقضى ذلك العصر بما كان فيه

فهل فى شرعة الانصاف أن يتوفر مؤلف على كتاب لا يزال دائباً على البحث من أجله ، ويقضى النهار والليل فى التحقيق والتثبت ليخرج به على الناس فيجلو لهم أموراً كانت من قبل مظلمة ، ويبين لهم مواطن كانت مبهمة غامضة ، فاذا به يرى ناشئاً من الشباب يريد أن يحول الأنظار اليه فيتناول ذلك الكتاب المسكين بالنقد ولا يزال به حكا وتجريحاً بيد ثقيلة غير صناع حتى يدميه ويلهبه ؟ إن هذا اذن لشبيه باليتيم المسكين الذى يذهب الى الحلاق ليسوى له شعره ويزيل عنه الشعث والأغبار فاذا بذلك الحلاق يدفعه الى أحدث صبيانه وأقلهم مهارة ليتعلم الصناعة فى رأسه . لا . لا . فالهم حوالينا ولا علينا . فما كان لنا أن نلوم شباب اليوم كما يحب لنا الدكتور هيكل أن نفعل ، بل إن علينا أن نحمد فيهم ذلك العقل الراجح وهذا الذوق الجميل الذى حدا بهم الى تجنب النقد فى هذه الأيام ؛ وإنها لمفخرة لعصرنا أن موجة النقد قد ركدت فيه ما دام ذلك النقد لا يقوى إلا إذا أخذ به الشباب الناشئ ليجعله وسيلة ليظهر للناس مقدرته على الكلام والكتابة وتدوير المعانى وتلفيفها

على أنى أرجو أن يغفر لى النقاد إذا قلت لهم إن هذا العصر لا يشكرهم على يد أطول من انصرافهم عن النقد . فان الأدباء قد وجدوا فى صمتهم متنفساً . وإنها لفرصة لمن شاء أن يؤلف فليغتنمها المؤلفون فى غفلة من الدهر . وأى شىء أعدل وأسمح من أن يؤلف المؤلف إذا شاء فاذا وجد من يقرأ له كان سعيداً محدوداً . وللناس عقولهم ، فاذا أعجبهم ما قرأوا له أقبلوا على مؤلفاته وألقوا اليه بأنواع التحية وأشاروا اليه بالبنان كلما رأوه كما كان يفعل الناس فى الأعصر الخوالى . وأما إذا كره الناس ما قرأوا للمؤلف انصرفوا عنه ، وحسبه بعد ذلك أن يخسر ما بذل من ثمن الحبر والورق والطبع ..

إن القوامة مكروهة أينما كانت ؛ فاذا اتخذ النقد شكل القوامة كان حرياً بأن يكون مكروهاً . هذا إذا كان القيم ممن يحسنون السيطرة ويعدلون فى الهيمنة — فما بالنا به إذا كان يسرف ويدل ؟ وإلا فوايم الله إن من النقاد من لو حكمت فى أمره لأمرت جميع بانى الأقلام من كل الأنواع بأن يمتنعوا عن أن يبيعوه قلماً واحداً . وإنى لأذكر أحد هؤلاء وهو ممن تزعموا فى المروبة وقد نقد كتاباً مترجماً عن الانجليزية فى تاريخ مصر . ولم يشأ أن يجمل نقده لذلك الكتاب فى مقالة مفردة فقرن بينه وبين كتاب فى فن (الطهى الحديث) وأطايبه . ولقد رأيت

ذلك الكاتب المفضال بعد ذلك يتنقل فى النقد ما بين العلوم والفنون فضرب عافاه الله فى التاريخ والتصوف والحديث واللغة والدين والفلسفة . ولا أعلم بعد إذا كان قد بلغ حظائر الطب والموسيقى والفلك أم هو سائر فى طريقه إليها . ولم يكن هذا الناقد فذاً فى هذا النهم العلمى ! بل لقد رأيت علماً من أعلام النقد فى مصر يستعرض سلسلة من المؤلفات ويبدى رأيه فى كل منها ، ويهز رأسه عند الانتهاء من نقد كل منها ، ويلمس لحيته لمس الفلاسفة الأقدمين ! وكأنى به قد نسى أن العصر قد تقادم على عهد سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وأن الناس قد أخذوا لحاهم أخذاً شديداً فلم يدعوا فيها شعرة واحدة : ولقد رأيت كاتباً عبقرياً أخذ على نفسه أن ينقد الأدباء . وواتاه القلم على عادته وأصاخ له الناس على عادتهم ، وهو إذا تكلم أو كتب فالناس كلهم أسماع

ثم استعرض بين حين وحين كتاباً فكان كل ما استعرضه أو جله دواوين للشعر ، وهذا حسن ، فلعله قد خصص نفسه للغة وما يتعلق بها ، وقرأت نقده كما قرأه الناس فكان لبقاً كعادته حلو الحديث مما وهبه الله فى أسلوبه ، ولكنى لم أستطع أن أفهم ما قال . فلقد كان قوله إما مدحاً يسر الخاطر ويشرح الصدر — أقصد صدر المؤلف الممدوح ، وإما ذماً يكسر القلب ويدمى الفؤاد — وإنى لم أكن أحد هؤلاء الشعراء فلهذا لم يلتفت ذمه بألم ولا مدحه بفرح ، وعلى ذلك خرجت من كل ما كتب ، ولم أفقه شيئاً ، ولم أعرف ماذا أراد أن يقول

إن أغلب ظنى أن الغباوة هى التى قد حالت بينى وبين فهم ما قال ذلك الأديب الكبير ، ولكنى لم أسأل أحداً من أصدقائى عن رأيه إلا وجدته على مثل حظى من الغباوة وقلة الادراك

ولهذا السبب كان ذلك الأديب كثير التردد والتقلب فى رأيه ، فبينا هو اليوم يصفق إعجاباً بشاعر أو يصيح تقديراً لأديب ، إذا به بعد قليل وقد لمح من ذلك الشاعر أو من ذلك الأديب نكراناً لفضله أو جحوداً لجميله فينقلب مدحه إلى ذم يكاد الدم يسيل من وقعه

ولقد حسبت مرة أن ذلك الأديب الكبير قد خصص نفسه للنقد حقاً ، فأرسلت إليه بمؤلف حقير لى ثم تواريت خجلاً وجعلت أنتظر نقده وأقرأ جرائده كل يوم مدة طويلة حتى سئمت ولم أظفر بشىء . ثم نسيت ذلك الأمر وعدت بعد سنوات اليه فأرسلت إليه بمؤلف آخر لا يقل فى حقارته عن المؤلف الأول ، وقلت فى نفسى إنه فى هذه المرة لا بد واثب على كتابى ، وممزقه كل ممزق — ولبثت أنتظر طلعته وأنا متوار ، وطال بى الانتظار على غير جدوى ، فعرفت أن من الكتب ما ينحط عن مقدار النقد ، ولو قد تكرم ذلك الناقد فقال لى كما قال مرة لأحد الشعراء : « إنك لا تعرف شيئاً » لما تألمت مثل تألمى من سكوته عنى ، لأنى كنت عند ذلك أفاخر الناس بأن ذلك الأديب قد قرأ كتابى ، وحكم على بأنى لا أعرف شيئاً . ولا عجب فى ذلك ، فقد كان من أجدادى رجل — كما كان من أجداد كثير من القراء مثل جدى — أقول كان من أجدادى رجل إذا امتنع عن دفع المال للحاكم أمر المدير فأحضره وألهب ظهره بمائة سوط — فكان إذا أفاق من غشيته بعد الضرب يضحك ويقول : « الحمد لله إذ ضربنى المدير بنفسه » ثم نظر إلى الحاكم الغاضب وضحك مرة أخرى وقال : « ضربك شرف يا سعادة البك ! »

وبعد فلقد أنسانى آخر الكلام أوله ، ولابد من أن أعود إلى ما كنت فيه . أقول إنى أخالف الأستاذ أحمد الأمين فى رأيه كل المخالفة ، ولا أذم النقاد فى عصرنا الحاضر ، بل إنى أشكرهم وأعدها لهم مكرمة عظيمة أن فتروا فى النقد وخشعوا عنه . ولعل فيما قدمت من قولى ما يقنع الأستاذ ومن يرى رأيه بأن واجبنا أن نحمد الله على قلة النقد وتعفف الناقدين عنه ، واقتصارهم على الاعلان والمجاملة أحياناً ، أو التجهم أو التنكر أحياناً أخرى بحسب مكان المؤلف منهم وهل هو صديق أم هو بغيض ؛ فلقد أدرك الناس منهم ذلك واطمأنوا إليه . فاذا أراد الأستاذ بعد ذلك أن يستعر فى المهاجة والمناقشة فانى مضطر الى أن ألجئه الى ركن لا يستطيع فيه المقاومة ولا يجد لنفسه مناصاً من الاقرار لى بالغلبة — وذلك أنه قال إن التأليف قد زاد فى عصرنا — أليس كذلك ؟ ثم قال إن النقد قد ركد كذلك فى عصرنا — أليس كذلك ؟

أفلا يرى الأستاذ اللوذعى أن هاتين الحقيقتين منذ تلازمتا كانت إحداهما نتيجة للأخرى ؟

فاذا أراد الأستاذ أن يستمر التأليف على نهضته كان عليه أن يترك النقد نائماً ولا يوقظه

أيحاول الأستاذ الأمين بعد هذا مجادلة ؟

محمد فريد أبو حديد

ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

(تنبيه : الكلام كله تخيل ولا أصل أو حقيقة له)

— ٧ —

طلبت من الريف ما لا سبيل إليه فى هذه المدينة العظيمة ذات المآثر الشاهقة ، والبنى الرفيعة ، والهواء الحبيس ، والنفوس المروضة على تكلف غير طباعها . وكان بعض قومى قد سبقونى ؛ فأنبأنهم أنى لاحق بهم ، وإذا ببرقية تردنى منهم يقولون فيها : « هات فتنة معك » فلم أدر ما — أو من — « فتنة » هذه .. أقطة هى يا ترى ؟ أم فتاة ؟ أم كلبة ؟ أم ماذا ؟ ... وكنت أعد حقائبى ، ومكتب البرق بعيد منى ، وحدثتنى نفسى أنهم يعرفون أنى لا أعرف « فتنة » . فالأرجح أن يكونوا قد أبرقوا إليها لتتصل بى ، أو لأصاحبها إذا كانت حيواناً . وقلت سأسافر على كل حال فى الوقت المعين . جاءت « فتنة » أم لم تجىء . وأنبلت على الحقيبة أحشر فيها — فما لى قدرة على الترتيب والتنظيم — ما أقدر أن سأحتاج إليه ، وإذا بالباب يقرع قرعاً مزعجاً لا عهد لى به ، ففزعت ومضيت إليه على عجل مخافة أن يكسره الطارق . ودار فى نفسى أن هكذا دق « تيمون الأثينى » باب الآخرة حين انحدر إليها بعد أن وافاه حينه الذى كان ينتظره بصبر فارغ من فرط كرهه للناس ، فان أساطير اليونان تزعم أن الناس يهبطون بعد موتهم إلى وادى الظلال ، وهناك يحشدون فى الفجر ويُعدّون وتقيد أسماؤهم ثم يركبونهم زورقاً — غير بخارى بالطبع — إلى وادى القنوط حيث يكون الحساب . ومن غرائب هذه الأسطورة أن على كل راكب أو محمول فى هذا الزورق أن يؤدى أجرة العبور إلى وادى القنوط . . . وقد ضحكت وأنا أذكر هذا إذ أمشى إلى الباب ، وقلت لنفسى والله أن يبتى لكوادى القنوط بفضل « ذات الثوب الأرجوانى » وما أخلقنى حين أفتح الباب لهذا الزائر المستعجل أن أوحب به بهذه الأبيات القديمة التى نظمتها لمناسبة شبيهة بهذه :

« دارُنا مغرب أنوار الحياهْ من رآها لم ير الضوء الطليق
ما لمن يهوى إليها من نجاهْ ما لما يضرب فيها من شروق

* * *

وهى ، فى الأكوان ، دنيا عاقرُ كل زخار له فيها ركودْ
ضرب السحرَ عليها ساحرُ فهى عنوانٌ على عقم الوجود »

ولكن شيئاً — لعله الالهام — صرفنى عن هذه التحية غير الطيبة ، فقد كان الزائر فتاة أشهد أنها من أجمل — إذا لم تكن أجمل — من رأيت فى حياتى ؛ وكانت رشيقة ممشوقة ، ووجهها وضاح ؛ أما عيناها فأعوذ بالله منها ! أعنى أن البراقع ما اتخذت إلا لتقى الناس سحر مثلها

وقالت وهى تنساب كالماء الرقراق : « لست تعرفنى بالطبع .. ولكنى أنا أعرفك »

قلت : « تفضلى . . أعنى أولاً . . وبعد ذلك يتسع الوقت للسؤال والجواب »

قالت : « متى تسافر ؟ »

قلت : « هل تعلمت فى انجلترا .. أو لعل أباك انجليزى ؟ »

قالت : « لماذا .. انى سمراء . أولونى أقرب الى السمرة .. ثم إنى لا أعرف الانجليزية . . تعلمت فى « الميرده دييه » «فقط»

قلت : « هذا أحسن . . على كل حال إنما عنيت أنك تمضين الى غرضك بلا لف ولا تضييعين الوقت .. سأسافر فى الفجر »

قالت : « سأبعث إليك إذن بالحقائب الليلة وأجىء أنا قبيل الفجر »

قلت بفرح : « أنت إذن « فتنة » ؟ ؟ لقد صدق الذى سماك »

فقالت وهى تنهض عن الكرسى وتمضى إلى المنضدة وتقلب ما عليها : « أليس عندك سجاير ؟ . أم أنت لا تدخن ؟ . »

قلت : « إنك صغيرة جداً . . ولكن خذى »

فأخذت سيجارة وانطلقت تدخن وهى ساهمة وأنا أنظر إليها ولا أقول شيئاً ، فقد خطر لى أنى سأشهد فصولاً كثيرة متعاقبة لهذه الرواية . وإذا بها ترمى السيجارة من النافذة وتقول « إلى الملتقى إذن . . وشكراً لك »

وليس أبغض إلىّ من أن يرى الناس ما أصنع أو يشهدوا خروجى ودخولى وسفرى وإيابى . ولكنى أحسب الدنيا كلها — دنيا شارعنا على الأقل — قد علمت أنى مسافر بالسيارة ،

وأن معي فتاة جميلة ستريني النجوم في الظهر الأحمر . . واطلعت — أعني الدنيا الخاصة — على ما في حقيبتي الصغيرة وحقائبها الكثيرة المنتفخة فقد كانت لا تفتأ تأمرني بأن أغير كل ما رتبت . هذه الحقيبة لا يجوز أن تكون تحت غيرها لأنها من جلد طري فهي تخشى عليها التلف . . وهذه الكبيرة فيها ما قد تحتاج إليه في الطريق فيجب أن تكون فوق . فأقول ولكن الطرية يجب أن تكون فوق فماذا أصنع ؟ ؟ فتقول هات الطرية معنا في السيارة فأطيع وأحل ما عقدت ، وأعقد ما حللت . ثم يتضح أن فيما ربط خلف السيارة أشياء لا بد منها كل بضع دقائق في الطريق ، فأسأل مثل ماذا ؟ فتقول مثل زجاجة الكولونيا الصغيرة وملحقاتها من أدوات الزينة المعروفة التي لا غنى عنها — حتى الفتيات الصغيرات مثل « فتنة » صرن لا يستغنين عن ذلك ، فأعود إلى الحل والعقد وأفتح لها الحقائب — في الطريق من فضلك — ولم تكن الشمس قد طلعت ، ولكنه كان هناك خلق كثير احتشد لتكيدني ! ! وقد عنيت بأن أحصي هذا الخلق وإليك البيان :

(١) سائق مركبة « كارو » — سكران على الأرجح

(٢) ستة من عمال الطرق قائمون يمشون صفين ومعهم المكانس يحملونها كما يحمل الجنود البنادق . وقد وقفوا ينظرون إلينا مسرورين

(٣) قطتان : واحدة على رصيفنا والأخرى على رصيف « ذات الثوب الأرجواني »

(٤) أربعة غلمان كانوا سائرين فلما رأونا رافهم منظرنا فوقفوا ينظرون ويتبادلون الملاحظات ولا أدري من أين جاءوا ولا الى أين كانوا ذاهبين في هذه البكرة

(٥) رجل من عمال شركة النور كف حين رآنا عن اطفاء المصابيح وجاء ووقف مع الغلمان

ولم أحسب المارة الذين أبى لهم أدبهم — أو ذهولهم — أن يقفوا ويتفرجوا . وقد كان هؤلاء جميعاً يضحكون منا حتى القطتان

ولا أمل القارئ بوصف هذه الرحلة وما جرى فيها فليس لهذا آخر ، فقد كان كل كيلو فيها لا يخلو من حادثة ، وصار لي في هذه السكة الزراعية من الذكريات بعدد ما على جانبيها من الأشجار . ولما دنونا من البلدة قالت : « هل هذه هي . . . »

قلت : « قربنا »

قالت : « أراهن أنك لن تقبل بعد اليوم أن تحمل في سيارتك فتاة أخرى » ثم التفتت إلى — أعني أنها انحنت قليلاً إلى الأمام وواجهتني وهي تبتسم وقالت : « قد تكره أن تسمع مني هذا ولكني شاكرة ... شاكرة جداً . . وقد أتعبتك . . لا تقل شيئاً فاني واثقة أني أتعبتك . ولكنك كنت حليماً جداً »

فقلت : « كلام فارغ . . قولي شيئاً آخر »

قالت : « لا أدري متى يتاح لي أن أراك مرة أخرى ولهذا عجلت بشكرك في الطريق »

فضغطت نفسي بجهد ، ومع ذلك كانت « إيه ؟ » التي ندّت عني كالصيحة فقالت : « نعم فاني مرتبطة بأهلي فاذا رحلوا — كما ينوون أن يفعلوا — إلى الاسكندرية رحلت معهم وإلا بقينا . . وأنا أرجو أن يبقوا فاني أريد أن أتعلم بـ ... وبـ ... »

فصحت بها : « ماذا تعنين ؟ ؟ أعني ما الفائدة من حملك كل هذه المسافة من القاهرة إلى هذه القرية السحيقة إذا كنت ستختفين غداً ؟ ؟ »

قالت : « وماذا أصنع ؟. وعلى كل حال كيف يعنيك هذا ؟. ماذا يهمك ؟ »

قلت مغالطاً : « لا شيء بالطبع ! لك الحق »

قالت : « لقد كنت أهم بأن أقول لك اكتب إليّ إذا شئت ولكني عدلت الآن .. من فضلك انتظر لحظة .. دقيقة واحدة فان جوربي انسخ جداً وأريد أن أغيره قبل أن ندخل البلدة »

فوقفت ونزلت من السيارة وذهبت أتمشى فلما عدت — إجابة لندائها — قالت : « الآن أنا نظيفة وجميلة »

فقلت : « أنت دائماً هكذا »

قالت : « صحيح ؟ » وكنت صادقاً فما فقدت ذرة من نضارتها ورونقها بعد مائة وثمانين كيلو متراً

فقالت : « إن خير ما فيك أنك تعني ما تقول .. فأنا أعرف الآن أني دائماً جميلة .. وأنا أعرف بغير معونتك أن ساقي جميلتان لا تكاد .. لقد قلت هذا .. ولكن عيني .. و .. و .. وشعري .. أنا مضطربة .. لم أسمع منك ثناء على عيني وشعري »

فقلت باختصار : « خير ما رأيت »

فابتسمت وقالت : « ثناء وجيز . . وجيز جداً . . ولكنه يكفي للاطمئنان .. »

فلم يسعني إلا أن أقرصها وأنا أصيح بها : « يا ملعونة »

* * *

وأعود إلى الريف الذي نشدت في ظله الروح والراحة فأقول إن هذه الزروع التي تمتد إلى النهر والتي كانت تبدو لي في الظلام سوداء أنعشت روحي وبردت دمائي التي كانت تغلي في عروقي ووهبتني السكينة والهدوء لأعصابي التي أثارها الغيظ والغضب ، والروح لقلبي الذي أجهده حب عقيم ، ولكنه مع ذلك مضطرم . وقد كلمتني الأشجار الوارفة ، والمياه الجارية ، والهواء الندي ، والظلال المديدة تحت الألفاف المتشجنة . وقالت لي كلها أني مخطئ في ثورتي وغضبي وأني يجب أن أعرف وأدرك أني لا شيء في حياة ذات الثوب الأرجواني ، ولما كنت لا شيء فان من التطاول والغرور أن أحاول أن أحشر نفسي في حياتها ، وأن أزجها بوجودي وأن أهيمن عليها وأسيطر . نعم أنا لا شيء . وليس لي عند ذات الثوب الأرجواني شيء . . لا اختلاجة واحدة من جفنها . ولا نبضة من عروقها . ولا خفقة مفردة من قلبها ، ولا خاطراً مما يجول في رأسها أو يدور في نفسها . . ولا نفساً واحداً من هذه الآلاف واللايين من الأنفاس التي يعلو لها صدرها ويهبط . . حتى هذا الذي هو للهواء ليس لي منه شيء !!

وقضيت يومين بين أحضان الطبيعة الصريحة فكانت أشجارها ومياهها وأطيارها تعيد على مسمعي هذا المعنى في كل ليلة وتكرره وإن اختلفت الأنغام وتعددت الأصوات ، وما كانت تعيد أو تسمعني إلا ما كانت نفسي تحدثني به ، وقلبي يخبرني أنه الحق الذي كنت أحاول بالأمل أن أخنقه كل ليلة في ظلمة الليل على وسادتي كأنه صوت «ديدمونه» إذ يميل على عنقها عطيل بيديه الكبيرتين الثقيلتين .

وعدت وقد وطنت نفسي على اليأس ، وخيل إليّ أنها سكنت واطمأنت ، فجلست في شرفتي ملفوفا في سواد الليل ، وفي قلبي برد السكينة ، أنظر إلى النجوم المتلاحمة ، ولا أنظر إلى شرفتك وإذا بصوتك يهفو إليّ منها . . . صوتك إذ تنادين أخاك . . فذهبت سكينة نفسي ومزقتها العاصفة الكامنة في أعماق البحر ، وأحسست أن روحي كلها تهزها نبرات هذا الصوت العجيب . . . وخفت صوت الطبيعة التي فاجئتني به في الريف في ظل الشجر وعلى سيف النهر . . وكنت تميلين على حافة الشرفة وترسلين الصوت مجاجلا في سكون الليل ، وتهيبين بأخيك أن يرتد إليك قبل أن يذهب في شأنه ، فوددت لو أتف وأصيح به وأعينك على إسماعه ورده ! ونهضت فعلا ، ولكني وضعت يدي على فمي ، وكتمت ما كان يوشك أن ترتفع به عقيرتي ثم انحططت على مقعدي وقد شاع في اليأس «علوا وسفلا» كما يقول النواسي — اليأس من الشقاء — والسخط على نفسي إذ ذهبت إلى الريف وحرمت نفسي مرآك يومين كاملين بلا جدوى .

كلا . . لست ذلك « اللاشيء » الذي زعمتني الطبيعة الساذجة ! . وليس صحيحاً أن أنفاسك كلها ذاهبة في الهواء كما تذهب أنفاس الناس . . ولا أن خفقات قلبك ليس لي منها نصيب . . ولقد غافلتك ومضيت إلى غرفة مظلمة واستمعت بانتظار مكبر ، فاذا عينك على شرفتي ، وإذا أنت تتلفتين ثم تحدقين لتتبيني ولتعرفي أباق أنا في الشرفة حيث كنت أم دخلت ؟ . وكنت قد غالطتك وخادعتك فأسندت شيئاً على الكرسي مكاني لتظني متوهمة أني هناك حين تنظرين ، ولأستطيع أن أعرف أين تنظرين حين تفعلين . . فزال الشك فقد طال تحديقك ثم كأنما رابك شيء من جمود هذا القائم على الكرسي فجعلت تتحولين إلى كل موضع في الشرفة وتنظرين ، ولبثت هكذا زمناً ثم دخلت ، فما كان مني الا أن أسرعت وعدت الى الكرسي فقعدت عليه مظمئنا كما كانت الحبشية التي وضعتها قاعدة ! إذن كانت لي تلك الوردة الحمراء التي نفضت عنها طلَّها وشممتها . . ولي هذه الاشارة إذ تظهرين على الشرفة فترفعين أناملك الى خصل شعرك المرسل وترديها عن أذنك . . ولي هذه الابتسامات الوضيئة حين يسرك من جليسك أو جليستك ما تسمعين . . . وإذن لم يكن عفواً أن الفتاة التي زارتك عصر يوم كانت لا تنفك تدير وجهها وتنظر الى ناحيتي كأنما تريد أن تراني . ولقد عجبت يومئذ لكثرة تلفتها ونظرها الي وظننت أن هذا من الفضول المألوف ، ثم ترددت وشككت فقد رأيتك تتكلمين ورأيتها تتلفت ، فتخفين أنت وجهك حتى ترد هي وجهها إليك . وتكرر هذا مع زائرة أخرى جلست معك في الشرفة — وكنت أحسبها قديماً أختاً لك متزوجة لشابه رأيتها فيها منك — وكان ظهرك إليّ ووجهها هي اليك وإليّ ، وكان الكلام يدور بينكما ، ولكن عين الزائرة لم تكن الا عليّ أنا ، وأنا

أتشاغل عنكما ولكني أراكما ، وقديماً قلت أمي عني إن لي عيناً في قفاي . . وإذن ليس عفواً أن أهلك جميعاً معنيون بي وأنهم لا يزالون يراعونني وينظرون بلي بل يراقبونني — لولا أني أكره هذه اللفظة — حتى ليبدو لي أحياناً أنهم يصطفون في الشرفة ويبعثون إليك وأنت في الحجرة بأخباري وأنبائي لتعرف أبالي أنا أم خارج . كأنما يحجرون عليك ويعنونك أن تظهري لي ، ولا يسمحون لك بالبروز إلا بعد أن يوقنوا أني خرجت وأن في الوسع انقضاء شري . . كأنما في الأمر شر . . ويكبر هذا في وهمي أحياناً حتى لأترك البيت لغير سبب أو داع سوى أن أعفيك من عنت أهلك ، وأطلق لك الحرية التي يقيدونها بسببي . . وإذا جلستُ في الشرفة تعمدت أن أحول عيني إلى ناحية أخرى وإن كان هذا حرماناً لي لا حقّ لهم فيه ، ولكني من أجلك أحتمله وفي سبيلك أصبر عليه . وليت من يدري بأي شيء لفتُّ نظر أهلك الى حبي لك وأنا أتحاشى كل إشارة ؟ بل انا أجتنب أن أنظر اليك حين يكون معك أحد ولو كان طفلاً صغيراً . . فهل ترى حدثتهم أنت بما أحسست من ناحيتي ؟ ؟ ربما . . فان كنت قد فعلت فأنت طائشة ، فقد جعلتِ على نفسك منهم رقباء بلا موجب ، فما بيننا شيء سوى النظر « وهل ذاك نافع ؟ » كما يقول الشاعر القديم . . وقد حدثت نفسي أمس أن أشتري ورداً أحمر ، فانك تحبينه على ما يظهر ، وأن أشير به إليك ، ولكني لم أفعل وقلت لنفسي : « ما الفائدة ؟ . هبني أشرتُ وأشرتُ وهبها أجابت وأجابت ؟ ؟ أفنظل أنا أشير اليها من بعيد ، وهي تجاوبني من بعيد ؟؟ ثم لا شيء غير ذلك . . عرفنا أنا محبان ثم ماذا بعد هذا ؟؟ هي تظهر في الشرفة ، وأنا أنظر اليها من الشرفة . . هي في السماء نجم لامعٌ ، وأنا فوق الأرض عين يرفعها اليه قلب واجف ! ! كلا ! . لا ورد ولا شبهه ! . ما الفائدة ؟ . ما الفائدة ؟ . إني أراني أرجع القهقرى قروناً . . بل أنا لا أرجع ولا أتقدم . . وإنما أرى الحياة تركد وتأسن من حولي لأن ذات الثوب الأرجواني شاءت أن تكون قطعةً من أثاث بيت فهي فيه لتكون زينةً له لا لتحيا وتنعم بالحياة . . وأثارني هذا الخاطر فغضبت وسخطت وأحسست أن نفسي امتلأت مرارة حتى لوجدت طعمها على لساني . . . سخطت على نفسي لأني خيّل إلى أني إنما أحب فتاة ساذجة يسرها أن تكون محبوبة وتقنع من الحب بأن تنظر إلى الرجل وترى الرجل ينظر اليها . . . وغضبت لأني رأيت أن هذه مهزلة فانا أذوي نفسي ، وأمزق أعصابي ، وأحرق دمي ، وهي تظن أني منتبط راض قانع بمرآها في هذه الأثواب المديدة التي لا تنفك تخلع منها واحداً وتلبس أخر ؟ . وما أكثر ما آليت لأسحقن هذا الحب ثم ما هو إلا أن أراها ناظرة إليّ حتى يتحلل العزم وينقض ما كنت أبرمته منه . فالحق أن هذه مصيبة لم تكن لي في حساب ولا كان يخطر لي في بال أنها ستنصب يوماً على أم رأسي . . وانظر ماذا تصنع مني ! ! تبدو لي في الأرجواني ، وتبقى فيه حتى أراها — أعني حتى توقن أني رأيتها فاني أراها كثيراً وهي لا تراني — فاذا وثقتْ دخلتْ وغيرته ! ! أليست هذه مكايدة متعمدة . . ؟

ابراهيم عبد القادر المازني

٧٠٩

لجنة التأليف والترجمة والنشر

النتائج السياسية للحرب العظمى

تأليف رمزي صبور

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة منشستر سابقاً

وترجمة الأستاذ محمد بدران

ناظر مدرسة بنها قادن الابتدائية

كتاب قيم يبحث بحثاً علمياً منطقياً في القوى والعوامل الخفية التي كانت تسيطر على أوربا والعالم أجمع منذ أوائل هذا القرن والتي أدّت إلى اشتعال نار الحرب العظمى وعينت شروط التسوية التي أعقبتها ، وهو يشرح ما في هذه التسوية من أغلاط ويتنبأ بالحوادث التي وقعت في العالم في المدة الأخيرة ونقصت شروط هذه التسوية ، وقد أضاف اليه المترجم فصلاً في حوادث الست السنين الأخيرة في الصين والحبشة وألمانيا وبلاد البلقان والشرق الأدنى فهو لذلك كتاب لا غنى عنه للعالم والطالب والقارئ العادي ، والكتاب يقع في نحو أربعمائة صفحة ، وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جميل مصقول ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومن المكاتب الشهيرة ، وثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد

المقرى مؤرخ الأندلس

حياته وتراثه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

عرفت المقّرى — صاحب نفح الطيب — حدثاً، وشغفت بأثره الجامع عن الأندلس، وأعجبت بجهده الجلد، وأدبه الممتع، واستطعت بعد أعوام طويلة من البحث والتنقيب فى تاريخ الأندلس، أن أدرك أهمية الشذور الضافية والوثائق الجمة، التى وقف عليها المقرى فى عصره، وألهم أن ينقلها الينا فى كتابه، ولولاه لغاضت مع مصادرها الأصيلة إلى الأبد، وحيل بيننا وبين الانتفاع بذلك التراث الحافل الذى يقدمه الينا المقرى فى كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض

وقد خطر لى غير مرة أن أكتب ترجمة موجزة للمقرى، وأن أستعرض مجهوده وتراثه؛ وأحسب الآن أن فرصة خاصة تعرض للوفاء بهذه المهمة، ذلك أنى قد أزمعت — بعون الله — الرحلة إلى تلك الأندلس التى ملأت حياة المقرى، وأذكت أدبه وبيانه، وأجرت قلمه أعواماً طوالا، وأزمعت أن أحج إلى تلك الربوع والمروج والمعالم التى أفاض المقرى فى وصفها، والتغنى بمحاسنها الذاهبة، وآثار أطلالها الدارسة، والتى ما زالت ذكرياتها قبل المقرى وبعده تسيل عبرات التاريخ الاسلامى

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقّرى نسبة إلى مقّرة، موطن أسرته القديم، وهى بلدة من أعمال قسطنطينة، واليها ينتسب عدة من علماء المغرب الأكابر. ولد، كما يحدثنا فى مقدمة كتابه « نفح الطيب » بمدينة تلمسان ونشأ بها[1]، ولم يذكر لنا تاريخ مولده، وهو تاريخ يضعه بعض الباحثين المحدثين فى نحو سنة ١٠٠٠ هـ (١٥٩١ — ١٥٩٢م)[2]؛ بيد أنه يلوح لنا من تتبع نشأة المقرى وحوادث حياته حسبما يقصها علينا، أنه ولد قبل ذلك التاريخ بعدة أعوام، فهو أولا يذكر لنا أنه « نشأ بتلمسان الى أن رحل عنها فى زمن الشبيبة الى مدينة فاس سنة تسع وألف »[3]، فلو كان مولده سنة ١٠٠٠ لما تحدث هنا عن الشبيبة، إذ يكون عمره عندئذ تسعة أعوام فقط، أعنى غلاماً حدثاً، وهو ما لا ينصرف إليه الشباب؛ ثم هو يشير حين التحدث عن اعتزامه كتابة موسوعته عن الأندلس إلى شبابه الذاهب الذى قضاه بالمغرب قبل وفوده على مصر سنة ١٠٢٧ هـ[4]، وفى هذه الاشارة أيضاً ما يدل على أن المقرى حين مقدمه الى مصر، كان قد طوى مرحلة الشباب الأولى؛ وربما كان يومئذ فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره؛ وعلى ذلك يكون مولده قبل الألف بنحو ثمانية أعوام؛ أعنى حوالى سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤) م

ونشأ المقرى فى تلمسان، التى نشأ بها أبوه وأجداده من قبل، وتلقى بها دراسته الأولى، ودرس الأدب والحديث والفقه المالكى دراسة حسنة، وكان بين أساتذته عمه أبو عثمان سعيد المقرى مفتى تلمسان؛ وكانت تلمسان ما زالت حتى عصره من أهم مراكز الدراسة الدينية بالمغرب، وزار فاس لأول مرة سنة ١٠٠٩ هـ، وقضى بها حيناً فى الدرس؛ ثم زارها مرة أخرى فى سنة ١٠١١؛ ثم استقر بها منذ سنة ١٠١٣. وكان ذلك فى فاتحة عصر السلطان أبى المعالى زيدان السعدى؛ وسنحت له فى فاس عاصمة المغرب الدينية والعلمية فرص الدرس المستفيض، ولا سيما فى المكتبة السلطانية؛ واتصل بمولاى زيدان وآله الأشراف السعديين أمراء مراكش، وولى الامامة والخطابة لجامع القرويين الشهير، ثم ولى الافتاء، واستمر فى منصبه حتى سنة ١٠٢٧ هـ[5]

وفى أواخر سنة ١٠٢٧ هـ، اعتزم المقرى الرحلة الى المشرق. والظاهر أنه لم يعقد هذا العزم مختاراً، وأنه أرغم عليه لأسباب وظروف يشير إليها، ولا يوضحها؛ فهو يقول لنا إنه « لما قضى الملك الذى ليس لعبيده فى أحكامه تعقب أو رد... برحاتى من بلادى، ونقلنى عن محل طارفى وتلادى، بقطر المغرب الأقصى، الذى تمت محاسنه لولا أن معاسرة الفتن ساءت بضائع أمنه نقصاً، وطما به بحر الأهوال... وذلك فى أواخر رمضان من عام سبعة وعشرين

(١) نفح الطيب (طبعة القاهرة) ج ١ ص ٨

(٢) الأستاذ ليفى بروفنسال فى دائرة المعارف الاسلامية

(١) سلافة العصر (ص ٥٩٠)

(٢) نفح الطيب - ج ١ ص ٥٦

(٣) خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٠٢؛ وسلافة العصر ص ٥٩٠

بعد الألف ، تاركاً المنصب والأهل والوطن والإلف... »[1]
أما هذه الظروف التي يشير اليها المقرى والتي قضت عليه بالرحيل عن الوطن ، فنستطيع فهمها على ضوء الحوادث التي كانت تجوزها مملكة فاس يومئذ ؛ فقد تولى مولاى زيدان الملك دون أخويه المأمون ، وأبي فارس (سنة ١٠١٢هـ) ولم يلبث أن نشبت بينهما حروب أهلية متوالية ؛ وهزم مولاى زيدان أولا ، وفر إلى تلمسان ، ثم استعاد ملكه بعد عدة محاولات دموية ، وبعد أن أجلى عنه غير مرة ، فى سنة ١١٠٨هـ ؛ بيد أن عهده كان مضطرباً ، فياضاً بالحروب والفتن ؛ ولاريب أن المقرى لم ترقه هذه الحياة المضطربة ، وأنه اضطر إلى مغادرة المغرب تفادياً من عواقب الفتن والدسائس المستمرة التي كانت تكدر صفو الحياة فى فاس ، وعلى كل حال فقد غادر المقرى وطنه فى أواخر سنة ١٠٢٧هـ ، وركب البحر إلى مصر ، وعانى من اضطرابه وروعته أهوالا يصفها لنا فى عبارات قوية مروعة[2] ؛ والظاهر أيضاً أن سفينته كانت تخشى مطاردة القرصان النصارى ، فكان الخوف مضاعفاً ؛ وقد كانت مياه البحر الأبيض المتوسط يومئذ مسرحاً لمعارك هائلة مستمرة بين سفن المسلمين والنصارى ، ووصل إلى مصر بعد رحلة شاقة مزعجة فى أواخر سنة ١٠٢٧هـ ؛ ونزل بالقاهرة فبهرته معالمها ومحاسنها برغم ما أصابها فى ظل الحكم التركى من عفاء وتدهور ؛ وأقام بها أشهراً ، ثم اعتزم الرحلة إلى الحج فى أواخر سنة ١٠٢٨هـ (١٦١٨م) فركب البحر إلى الحجاز وطاف بالأماكن المقدسة ، وعاد إلى القاهرة فى المحرم من العام التالى ؛ ثم زار بيت المقدس فى شهر ربيع الأول ، وعاد إلى القاهرة واستقر بها ؛ وتزوج سيدة مصرية من سيدات الأسرة الوفائية[3] ؛ ولكنه لم يكن زواجاً موفقاً ، وقد فصمت عراه كما سنرى بعد أعوام من الحياة الزوجية الكدرة . وكرر المقرى الرحلة إلى الحجاز ، وأدى فريضة الحج مراراً ، فلم تأت سنة ١٠٣٧هـ حتى كان قد أداها خمس مرات ؛ وجاور أثناء الحج فى مكة ، وألقى بها كثيراً من دروسه ، وأملى الحديث فى المدينة ، وعاد إلى مصر من حجته الخامسة فى فاتحة سنة ١٠٣٧ (١٦٢٧م)

(١) نفح الطيب — ج ١ — ص ٨ — راجع أيضاً أزهار الرياض (طبع تونس) ج ١ ص ٤
(٢) راجع وصف المقرى لأهوال البحر فهو بديع شائق (ص ١٩ و ٢٠)
(٣) خلاصة الأثر — ج ١ ص ٣٠٤

واستقر المقرى فى القاهرة طوال هذه الأعوام ، ولازم الدرس والتدريس بالجامع الأزهر ، وتبوأ مكانته فى مجتمع مصر العلمى والأدبى ، وفى رجب سنة ١٠٣٧هـ زار المقرى بيت المقدس مرة أخرى ، وألقى بعض دروسه بالجامع الأقصى ، ثم غادرها بعد بضع أسابيع إلى دمشق ، فبهرته محاسنها كما بهرته القاهرة من قبل ؛ ورحب به كبير علمائها ومفتيها الشيخ عبد الرحمن عماد الدين ؛ واتصل بكثير من أدبائها وأعيانها ، وبالأخص بالمولى أحمد أفندى شاهين وهو من أعيانها الأدباء ؛ وألقى بعض دروسه فى الحديث فى الجامع الأموى فاحتشد الطلاب حوله من كل صوب ، وحفل به المجتمع الدمشقى . وكان يبكى السامعين بخطبه ومواعظه ، ويتسابق العلماء والطلاب إلى لثم يده ؛ وكان أثناء إقامته بدمشق يكثر الحديث فى حلقاتها الأدبية عن الأندلس ومحاسن تاريخها وذكرياتها وبالأخص عن وزيرها الكبير ابن الخطيب ، فاقترح عليه صديقه المولى أحمد شاهين أن يضع كتاباً فى التعريف بابن الخطيب ، ومناقبه ، وتراثه من نظم ونثر ؛ فاعتذر أولاً بكثرة مشاغله ، وقلة مادته ومراجعه ، وخصوصاً لأنه ترك معظمها فى المغرب ، ولكنه اضطر إزاء الالحاح أن ينزل عند هذه الرغبة ، ووعد بالوفاء منذ عوده إلى القاهرة[1]

وعاد المقرى إلى القاهرة بعد أن أنفق فى دمشق بضعة أسابيع ، وعكف حيناً على إنجاز المهمة التي أخذها على نفسه ، أعنى كتابة ترجمة ابن الخطيب والتعريف بمآثره وتراثه ؛ ويقول لنا إنه استطاع غير بعيد أن ينجز منه قسما لا بأس به ، ولكن عاقته عن إتمامه مشاغل وهموم ؛ والظاهر أن المقرى لم يكن فى مقامه النائى عن وطنه ، هانئاً قرير البال ، فهو يحدثنا غير مرة عن آلام الغربة ومتاعبها . ومما يقول فى ذلك : « وليت شعرى علام يحسد من أبدل الاغتراب شارته ، وأضعف الاضطراب إشارته ، وأنهل بالدموع أنواءه ، وقلل أضواءه ، وكثر علله وأدواءه ، غير عنده التأمل رواءه ، وثنى عن المأمول عنانه ، وأرهف بالخمول سنانه ، حتى قدح الذكر حنانه ، وملأ الفكر جأشه وجنانه ... وشتان مابين الاقتراب والاغتراب ، والسكون فى الركون ، والنبو عنها والاضطراب ، فذاك تسهل غالباً فيه الأغراض والمآرب ، وهذا تتعثر فيه المقاصد وتتكدر المشارب

(١) نفح الطيب ص ٣٤ — ٣٨

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز ... ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وإن طاوعتني رقة الحال مرة ... أبت فعلها اخلاق نفس أبية

وقوله :

تركت رسوم عزي في بلادي ... وصرت بمصر منسي الرسوم
وصنت النفس بالتجريد زهداً ... وقلت لها عن العلياء صوني
مخافة أن أرى بالحرص ممن ... يكون زمانه أحد الخصوم[1]

كان المقري إذن في منفاه متعباً معنى ؛ والظاهر أنها كانت متاعب العيش فوق شجون الاغتراب ؛ فقد كانت سوق العلم والأدب يومئذ كاسدة ، وكان المجتمع القاهري قد فقد في ظل النير التركي بهاءه وسمته ورخاءه ، وعفت روعة الأزهر الذي كان من قبل موئل الوافدين من كل صوب

ولكن المقري عاد فاستأنف الكتابة نزولاً على إلحاف صديقه أحمد شاهين واستنجازه ، واستطاع أن يتم كتابه عن ابن الخطيب بصورته الأولى في بضعة أشهر فقط لعودته من دمشق ، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م) ؛ وفيه يتناول حياة ابن الخطيب ، ويستعرض صفاته وخلاله ومآثره ، وكثيراً من نثره ونظمه ؛ ويقول لنا إنه سمى مؤلفه لأول مرة « عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب »[2]

غير أن ذلك المؤلف الأول لم يكن هو « نفح الطيب » كما انتهى إلينا . ذلك أن المقري خطرت له بعد الفراغ من التعريف بابن الخطيب فكرة أخرى هي أن يمهد لكتابه بذكر الأندلس وتاريخها ومحاسنها وذكرياتها ، وتطورت هذه الفكرة حتى غدت هيكل الكتاب الأصلي ؛ فاستمر في الكتابة عاماً وبضعة أشهر أخرى ، وأتم مؤلفه حسب وضعه الجديد ، كما يحدثنا في خاتمة مؤلفه ، في آخر ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٢٩ — ١٦٣٠ م)[3] واختار عندئذ لكتابه اسماً جديداً ، هو الذي انتهى به إلينا ، وهو :

« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب »

والواقع أنه من التواضع أن يسمى « نفح الطيب » كتاباً ، فهو كما سنرى موسوعة ضخمة عن الأندلس ، تاريخها ، وجغرافيتها وآدابها ؛ ومن المدهش حقاً أن يستطيع المقري أن يضع مثل هذا الأثر الضخم في مثل هذه المدة القصيرة ؛ ولكن سنرى أن فضل المقري في وضعه يرجع إلى الاقتباس أكثر مما يرجع إلى التأليف ؛ وسنرى مع ذلك أن للمقري في هذا الاقتباس فضلاً لا يقدر ، وأن نفح الطيب هو أقيم مصادرنا العربية عن تاريخ الأندلس وآدابها

وكان المقري منذ عوده من دمشق قد طلق زوجته الوفائية ، ووضع بذلك حداً لتلك الحياة الزوجية الكدرة ؛ وما كاد يتم مؤلفه حتى أزمع العودة إلى دمشق ليتصل فيها بأصدقائه وليطلعهم على مؤلفه الذي وضعه نزولا على إشارتهم ؛ ولكن الموت عاجله ، فتوفي في جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ (يناير سنة ١٦٣٢ م) ، ودفن بقرافة المجاورين بالقاهرة[1]

(البحث بقية — النقل ممنوع)

محمد عبد الله عنان

(١) نفح الطيب ص ٣٩ و ٤٠
(٢) نفح الطيب ص ٦١
(٣) « « في خاتمة الجزء الرابع

(١) يقول صاحب سلافة العصر إن وفاة المقري كانت في سنة ١٠٤٦ هـ (ص ٥٩١) ولكن الرواية الأولى أرجح ، وهي المتفق عليها

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر فلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف الدكتور ا . وولف أستاذ المنطق بجامعة لندن وتعريب الدكتور أبو العلا عفيفي مدرس الفلسفة بكلية الآداب ، وهي الرسالة الرابعة من خلاصة العلم الحديث ، وقد لخص فيها المؤلف أمهات المسائل الفلسفية والطرق المختلفة التي عالج بها العلماء حلّ هذه المسائل ، ثم ذكر أهم اتجاهات الفلسفة الحديثة ، وذكر عدداً من الفلاسفة المحدثين الذين يمثلون كل اتجاه من هذه الاتجاهات ، وقد بلغ عدد الفلاسفة الذين كتب فيهم تسعة وثلاثين تتمثل فيهم النزعات الفلسفية والعلمية في كل نواحيها

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً كطبعات الرسائل السابقة بمطبعة اللجنة ويقع في ٢٤٩ صفحة ، وفي نهايته قائمة بالمصطلحات الفلسفية الواردة في الكتاب ومرادفاتها العربية

وثمنه ستون مليما ، ويطلب من مركز اللجنة « ٩ شارع الكردامي بعابدين — مصر » ، ومن المكاتب الشهيرة

مقتل أبي الطيب المتنبي

بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته

للدكتور عبد الوهاب عزام

خرج أبو الطيب من شيراز لثمان خلون من شعبان قاصداً بغداد فالكوفة [١]

ويقول بعض الرواة إن أبا الطيب لما قدم على عضد الدولة ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس محلاة ، ثم دس إليه من يسأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إن سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعضد الدولة تطبعاً . فغضب عضد الدولة وأوصى إلى جماعة أن يقتلوه [٢]. وروى صاحب الايضاح أن عضد الدولة قال إن المتنبي كان جيد الشعر بالغرب . فلما بلغت المتنبي قال : الشعر على قدر البقاع [٣]

وهاتان روايتان لا تثبتان على النقد . فأبو الطيب قد أفرغ وسعه في مدح صاحبه ونال من جوائزه ما ملأه شكراً . فكيف قال ما نسب إليه ؟ وكيف وهو يعلم أن كلامه حري أن يبلغ عضد الدولة ؟

وعندنا رواية تخالف هذه :

قال صاحب الصبح المنبي : حكى عبد العزيز بن يوسف الجرجاني كاتب الانشاء عند عضد الدولة قال : لما دخل أبو الطيب المتنبي مجلس عضد الدولة وانصرف عنه أتبعه بعض جلسائه ، وقال له سله كيف شاهد مجلسنا وأين الأمراء الذين لقيهم منا . قال : فامتثلت أمره وجاريت المتنبي في هذا الميدان . وأطلت معه عنان القول . فكان جوابه عن جميع ما سمع مني أن قال ما خدمت عيناي قلبي كاليوم . ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه . وكان ذلك من أوكد الأسباب التي حظي بها عند عضد الدولة

فهذه الرواية أشبه بحزم أبي الطيب . ولماذا يقول الشاعر في أمير أفاض عليه عطاءه إن هذا عطاء متكلف وسيف الدولة كان يعطي طبعاً ؟ أكان يبغي إرضاء سيف الدولة وهو في شيراز ولا يبالي إغضاب عضد الدولة وقد قصده وبذل في مدحه وسعه ، ونال من عطاياه ما أثقله شكراً . ورواية « الشعر على قدر البقاع » سبيلها في الرد والدحض سبيل أختها

ثم ما الذي يغري ابن بويه بقتل شاعر عظيم أشاد بذكره وآثره بالمدح على ابن عمه معز الدولة ووعده أن يرجع إليه ليخلد مآثره . إن أعداء عضد الدولة أولى بهذه التهمة . وقد أدرك بعض المعاصرين أن قتل أبي الطيب إخفار لذمة عضد الدولة فأنشأ أبياتاً يحرضه فيها على عقاب من أخفروا ذمته

سار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلمانه حتى بلغ الأهواز

وبين الأهواز وشيراز واحد وخمسون فرسخاً . ثم سار خمسين فرسخاً حتى بلغ واسط . وهنا نقف لنعرض على القارئ روايتين : الأولى مروية في الصبح المنبي عن الخالديين قالا :

« كنا قد كتبنا إلى أبي نصر محمد الجبلي نسأله عما صدر لأبي الطيب المتنبي بعد مفارقته عضد الدولة وكيف قتل — وأبو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية وله فضل وأدب جزل وحرمة وجاه — فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول في أثنائه : وأما ما سألتنا عنه من خبر مقتل أبي الطيب فأنا أسوقه وأشرحه شرحاً بيناً » وفي هذا الشرح يذكر أبو نصر قتل أبي الطيب وسببه . ثم يبين تربص فاتك الأسدي في طريق الشاعر وعزمه على قتله فيقول :

« وأما شرح الخبر فان فاتكا هذا صديق لي . وهو كما سمى فاتك لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال في مواقف القتال . فلما سمع الشعر الذي هجا به ضبة اشتد غضبه . ورجع على ضبة باللوم وقال له كان يجب ألا تجعل لشاعر عليك سبيلاً . وأضمر غير ما أظهر »

واتصل به انصراف المتنبي من فارس وتوجهه إلى العراق . وعلم أن اجتيازه بجبل [١] دير العاقول . فلم يكن ينزل عن فرسه ومعه جماعة من بني عمه رأيهم في المتنبي مثل رأيه من طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد

وكان فاتك خائفاً أن يفوته . وكان كثيراً ما ينزل عندي . فقلت له يوماً وقد جاءني وهو يسأل قوماً مجتازين عن المتنبي

(١) ابن خلكان (٢) الصبح ص ٦٩ (٣) الخزانة ج ١

(١) أظنها محرفة عن « جهة » أو « جيال » فليس عند دير العاقول جبل

فقلت له أكثرت المسألة عن هذا الرجل . فأى شيء تريد منه إذا لقيته ؟ فقال ما أريد إلا الجميل وعذله على هجاء ضبة . فقلت له هذا لا يليق بأخلاقك . فتضاحك ثم قال : يا أبا نصر والله إن اكتحلت عيني به أو جمعتني وإياه بقعة لأسفكن دمه ، ولأمحقن حياته . قلت له كف عافاك الله عن هذا القول ، وأزل هذا الرأى من قلبك فان الرجل شهير الاسم ، بعيد الصيت . ولا يحسن منك قتله على شعر قاله . وقد هجت الشعراء الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام . فما سمعنا بشاعر قتل بهجائه . وقد قال الشاعر :

هجوت زهيراً ثم إنى مدحته
وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

ولم يبلغ جرمه ما يوجب قتله . فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف

ولم يمض لهذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافانى المتنبي ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتحملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات . لأنه كان إذا سافر لم يخلف فى منزله درهماً ولا شيئاً يساويه . وكان أكثر إشفاقه على دفاتره لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً »

قال أبو نصر « فتلقيته وأنزلته دارى ، وسألته عن أخباره وعمن لقى . فعرفنى من ذلك ما سررت له وأقبل يصف ابن العميد وعلمه وكرمه وكرم عضد الدولة ورغبته فى الأدب وميله إلى أهله

فلما أمسينا قلت يا أبا الطيب على أى شيء أنت مجمع ؟ قال على أن آخذ الليل مركباً فان السير فيه يخف على . فقلت هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً . وقلت له والرأى أن يكون معك من رجالة هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد . فقطب وجهه وقال لم قلت هذا القول ؟ فقلت لتستأنس بهم ، فقال أما والجراز فى عنق قنابى حاجة إلى مؤنس غيره . قلت الأمر إليك ، والرأى فى الذى أشرت عليك . فقال تلويحك ينبى عن تعريض ، وتعريضك ينبى عن تصريح . فعرفنى الأمر وبين لى الخطب . قلت إن الجاهل فاتكا الأسدى كان عندى منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته ضبة . وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ، ومعه أيضاً نحو العشرين من بنى عمه قولهم مثل قوله . فقال غلام أبى الطيب وكان عاقلاً : الصواب ما رآه أبو نصر . خذ معك عشرين رجلاً يسيرون بين يديك إلى بغداد . فاغتاظ وشتمه شتما قبيحاً . وقال والله لا أرضى أن يتحدث عنى الناس بأنى سرت فى خفارة أحد غير سيفى . قال أبو نصر فقلت يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلى يسيرون بمسيرك وهم فى خفارتك . فقال والله لا فعلت شيئاً من هذا

ثم قال : يا أبا نصر ! بخوء الطير تخوفنى ومن عبيد العصا تخاف على ؟ والله لو أن مخصرتى هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكرى بهم لحظة عين . فقلت له : قل إن شاء الله تعالى ، فقال هى كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا تستجلب آتياً

ثم ركب فكان آخر العهد به . » اه

نقف هنا لنتأمل فى هذه الرواية المطولة قبل أن نقيسها إلى رواية أخرى :

يقول الخالديان إنهما كتبا الى نصر محمد الجبلى ثم يقولان : « وأبو نصر هذا من وجوه الناس فى تلك الناحية » ليس فى الرواية تصريح باسم ناحية ولكن ذكرت ضمناً فى نسبة أبى نصر « الجبلى » . والذى أراه أنها نسبة الى جَبَّل وهى بلدة بين النعمانية وواسط على دجلة تبعد عن النعمانية خمسة فراسخ الى الشرق والجنوب ، وعن دير العاقول ثلاثة عشر فرسخاً . فهذا الراوى من بلدة تبعد عن مقتل أبى الطيب نحو أحد عشر فرسخاً وهو صديق للشاعر وقاتله . وخلاصة روايته :

١ — أن فاتكان الأسدى خال ضبة العينى الذى هجاه أبو الطيب كان يكثر السؤال عن الشاعر ليقتله انتقاماً لأخته التى هجاها . وقد صرح بهذا لأبى نصر

٢ — وأن أبا الطيب نزل على أبى نصر بجبَّل فأخبره ونصحه بالحذر فلم يقبل . واحتقر فاتكا وقومه احتقاراً شديداً وغلا فى كلامه غلواً لا يليق برجل عاقل

وفى خزانة الأدب نقلا عن الايضاح رواية أخرى نصها :

« وأخبرنا أبو الحسن السوسى فى دار الوقف بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى . وورد عليه المتنبى ونزل عن فرسه ومقوده بيده وفتح عيابه وصناديقه لبلال مسها فى

الطريق وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة . فحضرته أنا وقلت قد أقمت للشيخ نزلاً . فقال المتنبي ان كان ثم فهاته . ثم جاء فاتك الأسدي يجمع وقال قدم الشيخ هذه الديار وشرفها بشعره والطريق بينه وبين دير قُنّة موحش قد احتوشته الصعاليك ، وبنو أسد يسيرون في خدمته الى أن يقطع هذه المسافة ، ويبرّ كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي ما أبقى الله بيدي هذا الأدهم وذباب الجراز الذي أنا متقلده فاني لا أفكر في مخلوق . فقام فاتك ونفض ثوبه من رتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حسوا سبعين رجلاً ورصدوا له . فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه ، الخ »

هذه رواية تؤيد الأمدي في أن أبا الطيب أبى أن يسير في خفارة أحد ، وتخالفها في أن فاتكا هو الذي عرض على الشاعر أن يخفره . ومعنى هذا أنه ما كان مبيتاً شراً له وأنه لو قبلت خفارته ما قتله . وفي الرواية مطاعن :

فقول : أبي الحسن السوسي : « كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبي الخ » . يؤخذ منه أن مرور أبي الطيب بالاهواز كان في عهد المهلبي ، والمهلبي توفي سنة ٣٥٢ كما تقدم

ولو أن فاتكا لقي أبا الطيب في الاهواز فعرض عليه خفارته فأبى فعزم على قتله أو سلبه ما صبر عليه حتى قطع المسافة من الاهواز إلى واسط وهي خمسون فرسخاً ، ثم سار من واسط حتى جاوز النعمانية ، كما سيأتي ، وذلك أكثر من عشرين فرسخاً .

وقول فاتك إن الطريق إلى دير قنة موحش بعيد أن يقال في الاهواز وبينها وبين دير قنة مراحل كثيرة وبلدان عامرة ، وإنما يقال مثل هذا في موضع قريب من دير قنة النعمانية أو جبل .

ثم عرض فاتك خفارته على أبي الطيب وفي نفسه منه ما فيها مستبعد كذلك

فرواية أبي نصر أجدر بالقبول بعد حساب المبالغة فيها كقول أبي الطيب عن بني أسد « ابخره الطير تحوفني الخ . » فالرجل مهما تكبر وتهور كان أعقل من أن يقول مثل هذا القول : وأحسب أبا نصر حينما سئل عن مقتل أبي الطيب أراد أن يبين عن نصيبه في هذه القصة التي يتشوف الناس إلى سماعها فأدخل فيها شيئاً من الصنعة ، ومبالغة القصاص ، وبالغ في نصحه أبا الطيب وفي إباء هذا قبول النصيحة وهكذا

— ٢ —

سار أبو الطيب من الاهواز إلى واسط فنزل بها ، قال علي ابن حمزة البصري عن القصيدة الكافية التي ودع بها الشاعر عضد الدولة : « هذه القصيدة آخر شعر قاله أبو الطيب . وكتبتها والتي قبلها عنه بواسط يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة » (١)

بين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، وعلى الطريق بلاد نذكر منها ما ذكر في روايات مقتل أبي الطيب : وهي النعمانية ودير قُنّى ودير العاقول والصافية

النعمانية في نصف الطريق بين واسط وبغداد غربي دجلة وهي قائمة اليوم . وكانت تسمى بغيلة فأعيد اسمها القديم . ودير العاقول كان على شاطىء دجلة الشرقي ، وكان عنده مدينة مسماة باسمه ، وكان على ميل من النهر أيام ياقوت . وبينه وبين بغداد ١٥ فرسخاً ، وبينه وبين النعمانية زهاء خمسة فراسخ

وإلى الجنوب الشرقي من دير العاقول على مقربة منه دير مرماري الذي يسمى دير قُنّى أو (قُنّه) وهو على ١٦ فرسخاً من بغداد يبعد على الشاطئ قليلا

وأمام دير قنى على الشاطئ الصافية على فرسخين إلى الجنوب والشرق من دير العاقول . وكانت على ميل من الشاطىء في زمن ياقوت .

وعلى نحو ثمانين كيلاً من بغداد إلى الجنوب والشرق توجد اليوم أرض تسمى أرض الدير . ذهبت إليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثلثمائة (٢) . فاذا تلال كثيرة متقاربة قليلة الارتفاع عليها حطام من الآجر والخزف تبعد عن شاطىء دجلة الشرقي نحو كيل واحد

وقد سألت أعرابياً نازلين هناك من قبيلة شمّر عن أرض أخرى تسمى أرض الدير في هذه الناحية فنفوا هذا . وسألت عن أسماء العاقول وقنى والصافية ، أتعرف اليوم هي أو ما يقرب منها ؟ فنفوا جازمين

وإذا نظرنا إلى المسافة بين هذه الأرض وبغداد فهي تقارب خمسة عشر فرسخاً . وهي المسافة المقدرة بين بغداد ودير العاقول في معجم البلدان وغيره

(١) نسخة بغداد (٢) ١٢ حزيران (يونيه) سنة ١٩٣٦

ومهما يكن فأكبر الظن أن هذه التلال بقايا دير قنى أو دير العاقول . وكانا متقاربين ، وهذا يدل على أن دجلة لم تغير مجراها كثيرا فى هذه الناحية

وأما الصافية فأحسب موضعها الآن فى مجرى النهر ، فقد كانت أيام ياقوت على ميل من دير قنى ، ويؤيد هذا قول صاحب مراصد الاطلاع عن الصافية ، « وقيل موضع دجلة »

— ٣ —

الروايات فى مقتل أبى الطيب متفقة فى جملتها ، ولكن بعضها أبين وأكثر تحديداً من بعض ، وهى فى التحديد قسمان :

١ — روايات تجعل مقتله قرب النعمانية أو قرب دير العاقول دون ذكر الموضع الذى قتل به (١)

— ٢ روايات تذكر الصافية على أنها موضع القتل أو قريبة منه وهى على مقربة من دير العاقول ، بينه وبين النعمانية ، فليست تناقض الروايات الأولى ، بل تزيد عليها تحديدا (٢)

— ٣ رواية ابن خلكان التى تحاول الجمع بين الروايات فتقول : « بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين »

وحق أن الصافية قريبة من دير العاقول ولكنها ليست قريبة من النعمانية إلا قرباً نسبياً

٤ — رواية ابن جنى ونسخة بغداد ونسخة فى الموصل (٣) تذكر مكاناً محرّفاً مضطرباً بين فرع ونيزع وشرع . ولم أجد لها ذكراً فى الكتب.

يستطيع الباحث بعد هذا أن يقول إن أبا الطيب قتل على مقربة من الصافية ، ولكن ابن خلكان وابن الأنبارى يقولان : « من الجانب الغربى من سواد بغداد » والصافية على الشاطئ الشرقى ، فكيف هذا ؟

رواية ابن خلكان متناقضة بلاريب ، فهو يقول فى موضع يقال له « الصافية من الجانب الغربى » وهذا خطأ ، وأحسبه اتبع ابن الانبارى فالعبارتان متقاربتان . فهل عبارة ابن الانبارى مقبولة ؟

(١) انظر رواية أبى نصر الجبلى فى الصبح ، ورواية الخطيب البغدادى
(٢) ابن الأنبارى ونسخة الأوقاف والمعرى
(٣) مكتبة يحيى باشا الجليلى

هو يقول « حيال الصافية من الجانب الغربى » فيمكن أن يقال إن مقتل الشاعر فى الجانب الغربى حيال الصافية على الضفة الشرقية — وكلمة حيال هذه صحفت فى بعض الروايات إلى جبال وليس عند الصافية جبال

يمكن قبول رواية ابن الانبارى بهذا التفسير لو لم نعرف الطريق بين واسط وبغداد أتسايرُ الضفة الشرقية أم الغربية من دجلة ، ولكننا نعرف من كتب المسالك أن الطريق شرقى دجلة . وقد عرفنا أنه مر بجبّل وليس لنا أن نفرض أنه سار شرقى النهر من واسط إلى جبل حيث نزل على ابن نصر ثم عبر إلى النعمانية ليعبر إلى الشرق مرة أخرى

وخلاصة هذه الكلمة أن جمع هذه الروايات ونقدها وتعرّف مواقع البلاد التى ذكرت فى الروايات والطريق بين واسط ودار الخلافة . كل أولئك يبين لنا أن مقتل أبى الطيب كان عند الصافية شرقى نهر دجلة على نحو ستة عشر فرسخاً من بغداد

— ٤ —

سار أبو الطيب من واسط يوم بغداد فى طريقه إلى الكوفة وكان مسيره يوم السبت سابع عشر رمضان . وفى هذا اليوم كتب عنه على بن حمزة البصرى راويته القصيدتين الأخيرتين من شعره كما تقدم

وبلغ جبّل بعد أن سار زهاء سبعة عشر فرسخاً فنزل عند أبى نصر الجبلى كما تقدم . ثم أخذ طريقه حتى حاذى النعمانية وهى فى نصف الطريق بين واسط وبغداد ثم سار فمر بجرجرايا على أربعة فراسخ إلى الجنوب والشرق من دير العاقول ثم تقدم حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً

وهنالك خرج عليه فاتك بن أبى جهل الأسدى خال ضبة ابن يزيد الذى هجاه أبو الطيب . وكان فاتك فى نيف وثلاثين فارساً راعين وناشبين (١) وكان مع أبى الطيب ابنه محسد وغلمانه الذين وصفهم فى القصيدة الميمية التى رثى فيها فاتكا وفى قصيدة توديع ابن العميد كما تقدم

ولا ندرى كم كان غلمانه ولكنهم كانوا ولا ريب أقل عدداً من عدوهم

(١) نسخة بغداد وفى الخزانة سبعين رجلا

بين عالمين

نظام الطلاق فى الاسلام

[بقية المقال المنشور فى العدد السابق]

للأستاذ أحمد محمد شاكر

هذا عن الدليل على وجوب الاشهاد فى الطلاق وفى الرجعة ، وأما الدليل على أنه شرط فى صحتهما ، وأن من طلق أو راجع بغير إشهاد فقد بطل طلاقه وبطلت رجعته ، ولم يصح واحد منهما — فان الطلاق عمل استثنائى صرف ، يخالف القواعد العامة فى العقود والفسوخ ، وكذلك الرجعة ، لأن كلا منهما تصرُّفٌ فى عقد بين اثنين ، يقوم به أحد طرفى العقد وحده ، وهو الرجل بن غير اختيار أو مشاركة له فيه من الطرف الآخر ، وهو المرأة ، أَذِنَ بهما الشارع الحكيم ، فى حدود معينة ، وبنظام خاص ، وليسا مما يملكه الرجل وحده بطبيعة التعاقد ، لأن الزواج عقد كسائر العقود ، لا يملك أحد طرفى العقد التصرف فيه بالالغاء أو الانهاء وحده ، لولا ما أذن به الله للرجل من حق الانفراد بالطلاق ؛ وكذلك الرجعة ، هى إعادة للعقد الذى نسخه الرجل وحده بما جعل الله له من الحق فى ذلك ، وهى إنما يملك الرجل الانفراد بها — دون الطرف الثانى من العقد — بما أذن الله له فيها ، ولو لم يأذن الله بالطلاق وبالرجعة للرجل ، لم يكن له أن ينفرد بواحد منهما من غير رضا الطرف الآخر فى العقد

وقد أذن الله فى شريعته للرجل بالاستقلال بايقاع الطلاق ، وبالانفراد بردّ المطلقة إلى عصمته ، بصفات معينة ، وفى أوقات خاصة ، فتكون كلها شروطاً فى صحة ما يفعله المطلق حين طلاقه ، والمراجعُ حين رجعته . فاذا تجاوز الصفات التى رُسمت له فيهما ، أو الأوقات التى أُقِّتَتْ له ، كان عمله باطلاً ، لأنه خرج عن الحدّ الذى ملك فيه الانفراد بالتصرف بالاذن من الشارع الحكيم

ولذلك قلنا ببطلان الطلاق لغير العدة ، وببطلان الطلاق من غير إشهاد ، وببطلان سائر أنواع الطلاق الذى يسمى (الطلاق البدعىّ) . وقلنا أيضاً ببطلان الرجعة من غير إشهاد ، وببطلانها إذا قصد بها المضارّة ولم يقصد بها الاصلاح ، كما قال الفقهاء جميعاً ببطلان الرجعة إذا كانت بعد انقضاء العدة ، وببطلانها إذا كانت بعد الطلقة الثالثة وهكذا

وهذا المعنى قد أوضحته مراراً فى كتاب (نظام الطلاق فى الاسلام) ، فما قلته (ص ٦٠ — ٦٣) :

« وليس المقصود من الطلاق اللعبَ واللهوَ ، حتى يزعم الرجلُ لنفسه أنه يملك الطلاقَ كما شاء ، وكيف شاء ، ومتى شاء ؛ وأنه إن شاء أبانَ المرأةَ بَتَّةً ، وإن شاء جعلها معتدةً يملك عليها الرجعةَ »

« كلا ، ثم كلا ، بل هو تشريع منظم دقيق من لَدُنْ حكيم عليم ، شَرَعَهُ الله لعباده ترفيهاً لهم ، ورحمة بهم ، وعلاجاً شافياً لما يكون فى الأسرة بين الزوجين من شقاق وضرار ، ورَسَمَ قواعدَه ، وحدَّ حدودَه بميزان العدالة الصحيحة التامة ونهى عن تجاوزها ، وتوعد على ذلك . ولهذا تجد فى آيات الطلاق تكرارَ ذكرِ حدودِ الله ، والنهىَ عن تعديها وعن المضارّة : (تلك حدود الله فلا تعتدوها . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) . (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) . (ولا

قاتل الشاعر الشجاع حتى قتل . وقتل ابنه . وأكثر الروايات تخص من بين غلمانه غلامه مفلحاً . وفى الخزانة أنهم قتلوا كل من كان معه . وما أحسب الغلمان ثبتوا كلهم بعد قتل سيدهم . وفى رواية الخزانة أيضاً « وحمل فاتك على المتنبى وطعنه فى يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنع خلفه الفرس أحدهم وحز رأسه »

« قال أبو نصر : ولما صحّ خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً »

ردى حياض الردى يا نفس واتركى
حياض خوف الردى للشاء والنعم
ان لم أذدك على الأرماح سائلة
فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

عبد الوهاب عزام

تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا) (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) »

« وهو تشريع تقطعت دونه أعناق الأمم قبل الاسلام وبعده ، وهأنت ذا ترى الأمم العظيمة التى تزعم لنفسها المدنية وتزعمها لها الناس — : تحاول إصلاح نظام الأسرة ، وتشريع القوانين لديها للطلاق ، فلا تصل إلى شىء معقول ، بل هى تتخبط فى الظلمات ، وتأتى بالبلايا والمضحكات ، وذلك أنها تصدر فى تشريعها عن العقل الانسانى القاصر . أما التشريع الاسلامى فانه وحى إلهى كريم ، أرسل به أعظم رجل وأعقل رجل ظهر فى هذا الوجود ، وأمره أن يفسره للناس ويبينه لهم ، ثم يحملهم على طاعته والعمل به »

« وإنما المقصود من الطلاق فى هذه الشريعة النقية الواضحة الكاملة : أن بين الزوجين عقداً — كسائر العقود — على المعايشة والمعاشرة بالمعروف ، فان هما فعلا تحقق المقصد الصحيح من الزواج وطاب عيشهما ، وإن هما تباغضا وتنافرا وخافا ألا يقيما حدود الله ورغبا فى الفراق ، فهما كغيرهما من كل متعاقدين : لهما أن يتفقا على الانفصال فى مقابل عوض من المرأة للرجل ، كما تعاقدا فى أصل النكاح فى مقابل الصداق من الرجل للمرأة . وبذلك جاء نص القرآن الكريم : (فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) فشرع لهما الخلع والمبارأة ، وكانت المرأة به بائناً تملك أمر نفسها ، وليس للرجل عليها حق المراجعة إلا بعقد جديد واتفاق آخر ؛ ولم يكن عليه للمرأة حقوق أخرى من حقوق العقد ، كالصداق والنفقة وغيرها ، إلا أن يتشارطا على شىء : فالمسلمون عند شروطهم »

« واختار الله لعباده — لحكمة سامية — أن يستثنى النكاح من القاعدة العامة فى فسخ العقود ، فأباح للرجل أن ينفرد بفسخ هذا العقد بارادته وحده ، بشرائط خاصة ونظام واضح[1] ، ورتب لكل من المتعاقدين حقوقاً قبل صاحبه ، لا يجوز لأحدهما أن يتهرب منها . فمن وقف عند حدود الله وفسخ عقد النكاح الذى بينه وبين زوجه فى دائرة الحدود التى حدّ الله له ، كان قد استعمل حقا ملكه بتمليك الله إياه ، وجاز عمله ، وترتبت عليه آثاره . ومن تجاوز حدود الله ، واجترأ على حلّ عقدة النكاح على غير النهج المرسوم له ، كان عابثاً ، وكان عمله باطلاً لغواً ، كما إذا انفرد أحد المتعاقدين بالغاء عقد البيع أو عقد الرهن مثلاً ، فان عمله لاغ لا أثر له فى العقد . فكذلك المطلق فى غير الحدود التى أذن فيها »

وقلت أيضاً (ص٧١) : « إذن ، فقد منح الله الرجل سرّ الانفراد بالطلاق ، وهو حلّ لعقدة النكاح : بين الزوجين عقد كسائر العقود ، وهو عقد الزواج ، فاذا أراد أن يطلق بمحض إرادته وحده ، فان عمله من ذلك إلا أن يتبع أمر ربه الذى شرع له هذا الحق وأذنه به »

فهذا التفسير لمعنى الطلاق ولمعنى الرجعة هو المطابق كلّ المطابقة لنصوص القرآن الكريم ، ولمقاصد الشارع الحكيم ، ولقواعد العقل السليم ، وللفقه الصحيح فى الدين . وليس من المعقول أن تُترك هذه الشريعة الدقيقة — شريعةُ الطلاق والرجعة — لأهواء الناس وآرائهم وألاعيبهم فى الألفاظ . إنما هى مقاصد سامية ، تتعلق بأدق الشؤون الاجتماعية وأشدها خطراً فى حياة الانسان وأشرف الروابط بين الناس وأعلاها وأنفعها للنوع الانسانى ، وهى رابطة الحياة الزوجية . (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودّةً ورحمةً ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

فلم يكن الطلاق — فى الشريعة الاسلامية — حقا مطلقاً للرجل من غير قيد ، كما يفهم ذلك أكثر الناس ، بل عامتهم ، وإنما هو مقيد بقيود كثيرة ، بعضها قيود فى نفس إنشائه وإيقاعه ، وهى شروط فى صحته عندى وفى رأيى ، وبعضها قيود تتعلق بحال المطلق وظروف طلاقه ، وهى تعليم من الشارع وتأديب ، لأنها ترجع إلى أمور نفسية وأحوال دقيقة فى المعايشة والمعاشرة ، لا تدخل تحت القواعد القضائية التى تكاد تكون مادية ، فجعل الرجلُ فيها أمينَ نفسه ، ورقيباً على أعماله ، أو جعلت تحت رقابة ضميره — كما عبر الكتاب من أهل هذا العصر —

(١) قلنا فى حاشية (ص ١٥) من الكتاب : يظن أكثر الباحثين أن الطلاق الرجعى ليس حلا لعقد النكاح ، وأن الرجعية لا تزال زوجاً ، لأن آثار العقد باقية بينهما ، وهو وهم ، بل الطلاق يزيل عقد النكاح ، سواء الرجعى وغيره . ونقل ابن حجر فى الفتح (ج ٩ ص ٤٢٦) عن ابن السمانى قال : « الحق أن القياس يقضى أن الطلاق إذا وقع زال النكاح ، كالعتق ، لكن الشرع أثبت الرجعة فى النكاح دون العتق ، فافترقا »

فان اتبع فى ذلك أوامر الله فى كتابه وفى سنة رسوله ووقف عند حدود الله : كان طلاقه صحيحاً ، ويرىٰ من إثم العدوان فى الطلاق ، وإن لم يتبع ما أمر به ، ولم يجعل طلاقه فى الحدود التى حدت لانشائه وإيقاعه ، فكأنه لم يعمل شيئاً ولم يقع طلاقاً ، وإنما كسب خطيئة وإثماً بمخالفة أمر ربه

وإن جعل طلاقه فى الحدود التى حدت للانشاء والايقاع ولكنه تجاوز فى القيود الأخرى التى تتعلق بحاله وظروف طلاقه كان طلاقه واقعاً ، ولكنه كان آثماً بمخالفته وعدوانه ، لأن هذه الشؤون ليست مما يدخل تحت سلطان الحاكم وتقدير القاضى ، وإنما يحاسب عليها بين يدى ربه يوم القيامة

لأن الشريعة الاسلامية يمتزج فيها — دائماً — التشريع القانونى القضائى بالشؤون الدينية النفسية والخلقية التهذيبية ، وتجمع فى أحكامها بين الوجوب أو الاباحة أو الندب أو الكراهة أو الحل أو الحرمة : وبين الصحة أو البطلان أو الفساد ، وهكذا فهى شريعة ودين معاً

وكذلك الرجعة : ليست من حقوق الرجل باطلاق من غير قيد ، بل هى مقيدة بقيود كالطلاق ، ولكنها أقل قيوداً منه ، تيسيراً من الشارع الحكيم ، وترغيباً فى وصل ما انقطع من علائق الزوجية

فمن قيودها ما هو راجع لأصل إيقاع الفعل وإنشائه ، فيكون شرطاً فى صحته ، وكلها منصوص عليه فى القرآن نصا : فمن ذلك ما اتفق عليه أهل العلم ولم ينقل فيه خلاف عن أحد منهم ، وهو أن تكون المطلقة مَدْخولا بها ، وألا يكون ذلك بعد الطلقة الثالثة ، وأن تكون الرجعة وهى فى عدة المطلق

ومن ذلك ما اختلف فيه ، واخترنا أنه شرط فى صحة الخلع أيضاً ونصرنا القول به ، وهو أن تكون الرجعة باشهاد شاهدين على ما بينا آنفاً ، (وأشهدوا ذوى عدل منكم) وأن يريد برجعتها إصلاح ما أفسد الطلاق ، وإصلاح حاله وحالها (وبعولتهن أحقُّ بردهن فى ذلك إن أرادوا اصلاحاً) لا يقصد بها الاضرار والعدوان (ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا)

وقد بينا ذلك فى كتابنا موضوح (ص ١٢١ — ١٢٤) ومما قلنا هناك : « إن الطلاق والرجعة بارادة الرجل وحده عملان مستثنيان من القواعد العامة ، أذن الله بهما بصفات خاصة فلا يملك منهما الا ما أُذِنَ به . والشأن هنا فى الرجعة أقوى ، لأن الله سبحانه جعل الرجلَ أحقَّ بها بشرط صريح ، وهو ارادة الاصلاح ، فاذا تخلف الشرط لم يكن الرجل أحقَّ بردها ، فصار لا يملك هذا الحق »

وهذا الذى اخترناه وذهبنا اليه لا يناقض ما ذكره أستاذنا شيخ الشريعة « مما هو أدق وأحق بالاعتبار ، من حيث الحكمة الشرعية ، والفلسفة الاسلامية ، وشموخ مقامها ، وبُعْد نظرها فى أحكامها » ، لأن القيود التى قيد بها حق الطلاق أوثق وأقوى مما اشترط فى صحة الرجعة ، « على القاعدة المعروفة من أن الشىء اذا كثرت قيوده ؛ عَزَّ أو قَلَّ وجودُه »

وما اشترط فى صحة الرجعة إنما اشترط ضماناً لبقاء الحياة الزوجية صحيحة سالمةً من إرادة العبث بها ، وبُعداً بها عن مواطن الشبهات ، وعن الاضرار بالمرأة عن إرادة التكول والجحد لاضاعة حقها

ولست أظن أنى بحاجة إلى بيان وجه « الحكمة الشرعية والفلسفة الاسلامية » فى اشتراط إرادة الاصلاح فى صحتها ، إذ هو واضح بالبداهة ، وصريح من نص الكتاب الكريم

وأما اشتراط الاشهاد فانه ليس قيداً يفوت به مقصدُ الشارع فى تقليل وقوع الطلاق والفرقة ، وفى ارادة التعجيل بالرجعة ، وانما هو شرط يقيد فى ضمان ثباتها وبقائها ، وفى حفظ عزة المرأة وكرامتها

فالرجل حين يطلق يُشهد على طلاقه ، وهو اعلان له واثبات ، ثم يذهبُ فيراجع سرًّا من غير حضرة الشاهدين ؛ ولعله قد يبدو له أن يندم على رجعته ، أو يَرَى له فائدةً مادية حقيرة فى انكار ما فعله وجَحده ، وتعجز المرأة عن اثبات حقها واثبات إجرامه ، ولا ترى لها شاهداً ولا دليلاً ؛ وقد يفعل ذلك ورثتُه إذا مات قبل إعلان رجعته ، فيضيع فى الحالين حقها ، وتهدر كرامتها ، ويُمس عرضها ، وهى عاجزة فى أول أمرها وآخره

ولو رأى الأستاذ — حفظه الله — ما نرى فى مجالس القضاء من ألاعيب الناس وحيلهم ، وإقدامهم على إضاعة الحقوق ، وحرصهم على أكل أموالهم بينهم بالباطل ، وجرأتهم على تعدى حدود الله ، لعلم أن هذه الشروط ليست قيوداً يعزُّ معها وجود الرجعة أو يقلُّ ، ولا يستيقن أنها تطابق الحكمة الشرعية ،

٢ ـ دانتى أليجييرى

والكوميديا الالهية

وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

عرفنا من الكلمة السالفة أن أبا العلاء كتب رسالته يرد بها على ابن القارح وهو طرب أيما طرب لأنه وجد فيه ... عنقاءه والخل الوفى ! وعرفنا أن ابن القارح لم يكن يقل زندقة وإلحاداً عن أبى العلاء لأنه استهزأ بالأبرار الأطهار الذين ورد ذكرهم فى سورة الدهر ، ولأنه عاب عليهم خوفهم يوماً كان شره مستطيرا ... يوماً عبوساً قمطريراً ... ولو كانوا مثله ... مثل ابن القارح ... لما نذروا ، ولما وفوا ... ولما خافوا شر ذلك اليوم

وعرفنا كذلك أن ابن القارح لم يكن صادقاً حقاً فى (تفيظه على هؤلاء الزنادقة واللحدين) الذين حشدهم وجمع أقوالهم فى رسالته من غير ما مقتض لحالها ... اللهم إلا أنه كان يخاطب

والفلسفة الاسلامية ، وتدل على شموخ مقامها ، وبعد نظرها فى أحكامها

وبعدُ : فانى أرسل تحياتى الى أستاذى الجليل على صفحات (الرسالة) الغراء ، مجدّداً ذكرى صداقة لم تزدها الأيام إلا ثباتاً وقوة ، منذ كان الأستاذ حفظه الله فى مصر ، من نحو خمس وعشرين سنة ، وكنا نقتبس من بحار علومه ، ونقتدى به فى مكارم أخلاقه ، وكنت له كالتلميذ الخاص ، ألازمه فى غدواته وروحاته . بارك الله فيه ، ونفع به الاسلام والمسلمين

وأخيراً : أدعو المثقفين منه المسلمين ، وقارئهم من علماء الدين ، لينظروا فى مسائل الزواج ومشاكله ، وهى جمة متوافرة ، لا بالنظر التقليدى القديم ، ولا بالنظر الافرنجى الحديث ، ولكنه بالنظر الاسلامى الصحيح ؟

أحمد محمد شاكر
القاضى الشرعى

أبا العلاء بلغة العصر الذى كانت تهدر فيه الدماء لمجرد الريبة تحوم حول الرجل فى دينه ، فاضطر أن يلغز هذا الالغاز الذى لا يجوز مظهره على ذكاء أبى العلاء ...

ونريد اليوم أن نعرف السبب الذى حدا بدانتى إلى كتابة كوميديته ؛ فلا نرى بأساً من أن نضع بين يدى القارئ ترجمة سريعة لهذا الرجل الذى كان يعيش ملء عصره ، ويسام بقلبه وعقله ويده فى شؤون إيطاليا عامة وفلورنسا خاصة

ولد دانتى فى مايو ١٢٦٥ ، أى بعد أن وضعت الحرب الصليبية أوزارها (١٠٩٦ — ١٢٤٤)[1] . وفى زمان كان فيه اختلاط الشرق بالغرب شاملاً كل شىء ولا سيما الثقافة ، وكان الغرب يرشف من مدنية الشرق ما يشاء عن طريق الشام ومصر وصقلية وتونس والأندلس . واختلف المؤرخون فى منشأ أسرة دانتى ... فبعضهم يقول إنها من رومه ، وبعضهم يقول إنها من فرّارا ، والبعض يقول إنها من پارما ، أو من فيرونا ؟ على أنهم متفقون على أن الفتى نشأ فى فلورنسا وفيها ولد ، وأنه تثقف على أشهر علمائها فى ذلك الزمن (برونتو لاتينى)

وقد كان أبوه أليجييرو رجلاً فقيرا من وسط برجوازى مكروه من الحزب الديمقراطى ، وقد ماتت أمه مونّا بالا Monna Bella بعد أن وضعته بزمن قصير . وفى التاسعة من عمره رأى فتاه وحبيبته بياتريس ، فنفثت فى قلبه السحر ، وحلت عن لسانه عقدة الشعر ، وجعلت حياته درامة رومانتيكية بارعة من الحب الأفلاطونى الحزين ... وترعرع دانتى ... ونظم الشعر فى بياتريس ...

وفى الثامنة عشرة ، نظم أولى غرر قصائده يطلب فيها تفسير حلم جميل « من كل مغرم دنف ، برح به الحب ، ولفح قلبه بارح الهوى ...» وكانت قصيدة رائعة لفتت إلى الشاعر الشاب نظر كبير شعراء إيطاليا إذ ذاك جيدو كفالكانتى ، فكانت عرى الصداقة بينهما ، ورمز المحبة والوفاء

واشترك الشاعر الفتى فى حملات حربية سخيفة ، وحضر معركة كپلدينو سنة ١٢٨٩ ... ثم انغمس فى النضال الحزبى الذى كان يجرف فلورنسا وإيطاليا فى ذلك العهد ، وكان ناشباً بين

---

(١) هكذا يحددها مؤرخو الأفرنج ، وإن تكن قد امتدت إلى أبعد من ذلك

حزبين قويين مايلبث أحدهما أن ينتصر حتى تكون للآخر الكرة عليه ؛ وكان دانتى فى جانب الجلفيين . وحدث أن كان فى بعثة سياسية لدى البابا حين انقض الجبليون — الحزب الآخر — على المدينة وانتزعوا مقاليد الحكم من الجلفيين ، وقضوا على دانتى بالنفى المؤبد ، وبالاعدام حرقاً إذا فكر فى الرجوع الى فلورنسا

وكانت بياتريس قد ماتت قبل ذلك ، وكان الشاعر قد فقد صداقة جيدو كفالكانتى من جراء الحزازات الحزبية التى كثيراً ما قضت على روابط وأواصر وصداقات ... وكان قد تزوج كذلك وإن لم يسل بياتريس — التى كانت قد تزوجت من غيره — من الفتاة جمادونا دوناتى Gemma Donati التى كانت تنتمى الى حزب الجبليين ... فكانت حياته معها سلسلة متلاحقة من الآلام لدوجة أنها رفضت أن تلحق به فى منفاه وحرمته بذلك حتى من النظر إلى أبنائه ... ومن أجل ذلك لم يتورع دانتى من الاشادة بذكرى حبيبته بياتريس فى كتابه (الحياة الجديدة) Vita Nuova ومن الوعد فى آخر هذا الكتاب بتأليف معجزته الخالدة (الكوميدية الآلهية) فى تخليد ذكرى بياتريس . بل هو لم يتورع كذلك من أن يدس جمادوناتى فى أشد دركات جحيمه فى هذه الكوميدية ... كما سيجىء ذكره

وقد طوّف دانتى فى أنحاء إيطاليا ، وذاق فى منفاه مرارة العيش وشقوة التشرد ، وجاب الرحب فزار باريس ، ويقال إنه ارتحل الى انجلترا وألقى عصاه فى أكسفورد . ولعل حظ الأدب من مرارة ذلك العيش ، وشقوة ذاك التشرد كان عظيما جدا ، فقد قسم لدانتى أن يبر بوعده بتأليف الكوميدية إذ هو مشرد فى الآفاق ، طريد من فلورنسا ، بعيد عن أحزابها ، بنجوة من قلق السياسة واضطراب السياسيين . ففى سنة ١٣٠٠ ألف كتابه الجميل (الحياة الجديدة)[1] أو انثيتانوفا الذى يصف به خلجات قلبه وضمنه ترجمة طلية لحياته وصلته بالفتاة الفتانة بياتريس بورتيناري وجمع فيه كل الأشعار التى تغزل فيها بحبيبته . والكتاب رائع حقا ، ويعتبره المؤرخون أول كتاب من نوعه فى بحر النهضة وآخر ومضة من الأمل فى العصور الوسطى

ولقد كان دانتى يحمل ضيفاً على أمراء الولايات الايطالية الشمالية فيقابل بالترحاب من الجميع ، وكان الجميع يكرمون وفادته ولا سيما كين دِلّا سكالا أمير ڤيرونا الذى لبث دانتى فى ضيافته حتى عام ١٣٢٠ ، ثم ارتحل إلى جيدو نوفللو دابولنتا عظيم رافنّا ومن ثم ذهب الى البندقية فى بعث سياسى ... ولكن البندقيين استخفوا به فأثر ذلك فى نفسه حتى قيل إنه حم ، فعاد أدراجه والمرض يفتك به ... ولقى حتفه عقب ذلك بزمن قصير

وفيما بين سنة ١٣٠٦ ، ١٣٠٨ ألف دانتى كتابه الفلسفى (الوليمة) Donvivio أو Convito وقد حاول فيه تبسيط الآراء والنظريات الفلسفية لتسيغها أفهام العامة ، وهو فى رأينا أقل قيمة من انثيتانوفا . وان يكن دانتى نفسه قد فضله على انثيتانوفا

ويقولون إنه ألف قبل ذلك (١٣٠٤) كتابه المعجب (فى فصاحة اللغة العامية) De Vulgari Eloquentia[1] الذى حاول فيه خلق لغة قومية للايطاليين يكتبون بها ويؤلفون فيها كتبهم بدل اللغة اللاتينية التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت

وفى سنة ١٣٠٩ ألف كتابه De-Monarchia وفيه يتغنى بالامبراطورية الرومانية القديمة ويحفز هم الايطاليين لاحيائها (لأنها نظام فرضه الله على البشر ، وهى وحدها التى تأخذ بأيدى الناس إلى السلام والنظام والعدالة ، وهى سلسلة متصلة فى التاريخ لا انفصام لها ...) وتلك نُصرة عرف بها دانتى ، انتقلت بعجزها وبجرها إلى زعيم إيطاليا الحديثة

ويرجح مؤرخو دانتى أنه كتب الكوميدية الآلهية إذ هو ضيف كريم على أمير ڤيرونا ثم أنهما فى رافنّا قبيل وفاته فى سبتمبر سنة ١٣٢١

وهاك ما اختتم به انثيتانوفا بصدد الكوميدية الآلهية :

« ... أبتهل إلى الله القدير أن يمد فى أجلى — إذا شاء — كى أكتب فى ملاكى ما لم يكتبه أحد فى امرأة من قبل ... حينئذ ... كم تكون روحى سعيدة حين تسبح فى ملكوته الأعلى لتتزود نظرة من ... بياتريس ! »

وقد مد الله فى أجله فعلاً ، وكتب فى ملاكه ما لم يكتبه أحد فى امرأة من قبل ، وذهب فى إثر رائده ڤرجيل يخوض دركات جهنم ، ويرقى فى شعاف المطهر ، ليلقى بياتريس فى ظلال الخلد . ونعيم لا يفنى

(١) فى بعض المصادر أنه ألفه بين سنتى ١٢٩٢ — ١٢٩٤ وأنه تزوج من جما سنة ١٢٩٦ ولما كان قد أنجل منها سبعة أطفال ليكون التاريخ المذكور هو الأصح

(٢) أو Eloquio

جحيم دانتى

(١) [1] رأى دانتى كأنه يضرب على غير هدى فى تيه لا أول له ولا آخر ، ثم رآه يضل طريقه فى غابة مظلمة تعج بالأفاعى وتضج بالوحوش ، حتى إذا بلغ طوداً رفيع الذرى وحاول أن يرقاه زأرت فى وجهه أسود وهممت حوله ذؤبان أوشكت أن تفتك به ، لولا أن أبصر فرأى الشاعر الرومانى الخالد ڤرجيل يقترب منه فينقذه من الكواسر المحدقة به ، ثم يذكر له أنه قادم من لدن حبيبته بياتريس ليهديه سواء السبيل ، وليخوض به دركات الجحيم ليريه من آيات ربه ، ثم ينفذ به الى جبال المطهر ... وليتركه عند باب الفردوس ، حيث تلقاه حبيبته ، فتمضى به الى جنات النعيم « لأنى غير مأذون لى بدخولها »

(٢) ويتلكأ دانتى قليلاً ، ولكن ڤرجيل ما يزال به يغريه حتى يتبعه (٣) ... وينطلقان حتى يكونا عند باب جهنم ... وينظر دانتى فيرى كلمات نقشت من نور على لوحة علقت أعلى الباب ... هى كلمات الإله العزيز من غير شك ... ويؤذن لهما فيدخلان ، ويسمع دانتى الى أنين المعذبين ، فيخبره ڤرجيل أنهم أولئك الذين قضوا حياتهم الدنيا فى لهو ولعب ، لا يعنيهم أن يقدموا عملاً صالحاً ينفعهم فى الدار الآخرة . ثم يبلغان عدوة نهر أشيرون ، ويريان جباره العتيد ذا الطول (خارون) منتصباً كالوحش فى زورقه الذى ينقل فيه أرواح الأشقياء من هذه العدوة إلى العدوة الأخرى ... وهنا ... تدور جهنم برأس دانتى فيعروه من الغثيان والغشية ما يهوى به إلى الأرض (٤) ... ثم يدوى رعد قاصف فى أركان جهنم فيهب دانتى من غيبوبته ، ويتعلق بأذيال ڤرجيل ، وينطلقان حتى يبلغا الدرك الأول من دركات الجحيم واسمه (لمبو Limbo) حيث يشق أولئك الذين استهتروا بتقاليد الكنيسة ، فلم يبالوا أن (يُعَمَّدوا) !! ولو أنهم كانوا مع ذلك برة أخياراً ، (٥) ويبلغان الدرك الثانى من النار ، ويرى دانتى إلى مينوس أحد قضاة الجحيم الذى يسائله كيف نفذ إلى هذه الدار وهو ما يزال حيا من أهل الدار الفانية ، ويتذره أنه لن يحتمل زفير سقر ... وينظر دانتى فيرى إلى جموع الفجار الشهوانيين من أهل الفسق تعصف بهم ريح السموم ، وتنثرهم هنا وهناك كما ينثر الريش فى يوم عاصف ... ومن هؤلاء هيلين التى شبت بسببها حروب طرواده ، وكليوبطرة ، ثم يرى الزوجة المفتونة فرنشسكا التى أحبت أخا زوجها (باولو) حين كان يقرأ لها قصة لانسلوت الغرامية « فلما بلغنا هذا الحد من القصة ، ورأينا باولو يطبع قبلة حارة على فم فرنشسكا ، نظر باولو إلى ، واغرورقت عيناه بالدموع ، وأهوى على فمى يقبله ... واستسلمت ... فلم أقاومه ! ! » ويألم دانتى أشد الألم وأبلغه ، فيغشى عليه حزناً على فرنشيسكا التى كانت تقص عليه خبرها (٦) وينهض من غشيته ، ويبلغان الدرك الثالث ، حيث الحمأ المسنون والوحل المركوم تسبح فيه أرواح المنهومين الطاعين ، وتنصب فوقهم شآبيب من برد وثلج ، ويمزق الكلب سيربيروس أبدانهم شر ممزق . ويلقيان (كياشو) أحد الأشقياء فيتنبأ لهما بما سيجتاح فلورنسا من شدائد (٧) وينطلقان حتى يكونا فى الدرك الرابع حيث تعذب أرواح البخلاء والمبذرين الذين يعير بعضهم بعضاً ، ويبلغان الدرك الخامس حيث تعذب أرواح العابسين وأهل الشر فى بحيرة (ستيجيا) . ويطوفان قليلا حول البحيرة ثم يصلان إلى سفح برج منيف (٨) فيقبل نحوهما نوتى اسمه فلجياس فيحملهما فى زورقه إلى شاطئ البحيرة المقابل — ويصلان أيضاً إلى مدينة ديس (Dis) حيث تعذب أرواح الجن والعفاريت ولكن هؤلاء الجن لا يسمحون لهما بدخول مدينتهم ويذودونهما عن أبوابها (٩) ولكن ملكا كريماً يهبط عليهما فيدخل بهما إلى ديس حيث يريان أضرحة فيها نار مشبوبة تعذب فيها أرواح الجدفين والمهرطقين (١٠) ويأخذ دانتى فى مجادلة بعضهم (١١) ويبلغ دانتى الدرك السابع حيث يلقى كبيراً من هؤلاء المراطقة ويتمنى لو أن جميع من لقيهم فى الجحيم (فى الدركات السابقة) كانوا فى ديس ليتعذبوا كعذاب هؤلاء ! وينظر دانتى فيرى إلى بعض المرابين (١٢) ويبلغان الدرك السابع حيث يقودهما سنتور عظيم فيقفز بهما من صخرة إلى صخرة حتى يكونوا فى قرار الدرك . وهناك ينظرون إلى نهر من الدم تسبح فيه أرواح شريرة هى أرواح الذين آذوا جيرانهم . ثم يحملهما سنتور آخر إلى الشاطئ المقابل (١٣) فيشهدان طوائف شتى من الأشقياء

(١) هذه الأرقام إشارة إلى فصول الجحيم وقد لخصناها هذا التلخيص الموجز حتى يتصل بعضها ببعض

(١٤) فى أقسام مستقلة من الدرك السابع . ويتحدث ڤرجيل إلى دانتى عن تمثال كبير كان فى جبل إيدا (أولمب) ؛ وهو الآن يتصهر منها فى نيران الجحيم (١٥) ويقابلان حشداً من الأرواح الهائمة فوق الحصباء المتأججة تتلمس شاطئ النهر ، ويشهد دانتى بينهم أستاذه (١) برونتو لاتينى فيحادثه طويلا (١٦) وينطلقان مع النهر حتى يصب فى الدرك الثامن فيقابلهما فوج من مواطنى فلورنسا المسكريين فيتحدث إليهم دانتى حتى يحجزهم عنه وحش من وحوش الجحيم (١٧) ويلقيان التنين جيريون فيرجوه ڤرجيل أن يحملهما إلى الدرك الثامن ويكون دانتى قد انتهز فرصة تحادثهما وانطلق يكلم الأشقياء الذين يعذبون هنا من أجل محاربتهم للفنون فى الدار الأولى — ويركبان فوق ظهر جيريون (١٨) فينطلق بهما إلى الدرك الثامن الذى ينقسم إلى عشر دركات يصف الشاعر اثنتين منها فقط فى هذا الفصل وهما درك المزورين ودرك المخادعين ويتعذبون فى حميم آن وحماً وروث (١٩) ويبلغان الدرك الثالث من الدرك الثامن حيث يثوى الخبثاء من رجال الكنيسة الذين دأبوا على بيع وظائفها بالمال (٢٠) ثم ينتقلان إلى الدرك الرابع حيث يأوى الدجالون والمشعوذون (٢١) ثم إلى الدرك الخامس حيث يسبح المختلسون وآكلو التراث فى صديد يغلى وقار ، عليهم حراس من زبانية شداد (٢٢) وتقودهما طائفة من الجن فى الدرك الخامس أيضاً ويحدث أن يحاول أحد المجرمين الافلات من ربقة الزبانية (٢٣) ويصلان إلى الدرك السادس حيث المنافقون يلبسون عباءات من نار وطراطير من جمر ، وحيث إخوان الصفاء من أهل بولونا (Joyous Friars of Bologna) (٢٤) وينطلقان إلى الدرك السابع حيث اللصوص والنشالون تقذف الحيات والأفاعى سمومها فى وجوههم وحيث الطواعين تصطلمهم (٢٥) ويلقيان شيخ المجدفين (فوشى) حيث تمزقه الثعابين وتنفث فيه سمها الأراقم ، ويلقيان أيضاً بعض الفلورنسيين المارقين . (٢٦) ويهبطان إلى الدرك الثامن حيث يعذب نصحاء السوء فى لهب متدلعة ونار ترمى بشرر كالقصر كأنه جبالات صفر ! وهنا يلقيان الفارسيين الاغريقيين ديوميد وأوليسيز فيتحدث ثانيهما عن كيفية موته (٢٧) وجيد وذامونتفلترو (أحد الفلورنسيين من خصوم دانتى !!) (٢٨) ويصلان إلى الدرك التاسع من الدرك الثامن حيث حشد الشاعر المتعصب من سماهم زراع الفتن وتجار الضلالات وحيث جعل منهم نبينا صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله وابن عمه عليا ابن أبى طالب اللذين أتهمهما هذا الكاثوليكى الوقح بأنهما من أهل الشهوات وأهل الشقاق والنفاق [1] (٢٩) ويعبران إلى الدرك العاشر حيث المزيفون والكيمائيون تفتك بهم الطواعين وتضنيهم الأمراض (٣٠) وفى هذا الدرك أيضاً يلقيان طوائف أخرى من النصابين والمماليق (٣١) ويسمعان نافخاً فى صور يدوى فى آفاق جهنم فيقصدان إليه ، فاذا هما الدرك التاسع من النار حيث المردة والشياطين وكل خناس عظيم . ويأخذهما أحدهم (أنتيوس) فى قبضته فيجتازهما فى قرار الدرك (٣٢) حيث زمهرير وبرد وثلج وحيث بعض الايطاليين جاثمون يتعذبون (٣٣) ويتحدث إليه بعض هؤلاء بما كان من خيانة أحد مواطنيه ويحدثه عن جريمة قتل حدثت فى فلورنسا ولم يعرف مقترفها (٣٤) ويصلان إلى الدرك الرابع من الدرك التاسع فيريان الذين أساءوا إلى من أحسنوا إليهم ، مطمورين فى ثلج وجليد إلى أذقانهم . ثم يحملهما السنتور لوسيفى فيكونان فى هذه الدار مرة أخرى ويريان النجوم تتلألأ فى السماء كأنه لم يكن شىء ! ! وبذا ينتهى طوافهما بالجحيم

(لها بقية)

د . غ

(١) المعروف عن دانتى أنه كان كاثوليكيا سنيا متعصباً للكنيسة تعصباً أعمى وقد ألهبت الحروب الصليبية حواسه فحشر الرسول فى جحيمه وقال كارليل : (كان دانتى يعد محمداً (ص) طائفيا تخذ شرائع الكنيسة وعربها وحرفها وضل بها شيعته ! !) وسيتضمنا ذلك فيما يلى

الضوء اللامع

لأهل القرن التاسع « للسخاوى »

تم طبعه فى ١٢ جزءاً ، الحادى عشر منها كفهارس منوعة له ، والثانى عشر فى تراجم النساء ، وثمنه جنيه ونصف (ويطلب من مكتبة القدسى بباب الخلق — حارة الجداوى بالقاهرة)

شعراء الموسم فى الميزان

نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

— ٣ —

ثورة القدر

نظم الأستاذ أحمد محرم فى هذه القصيدة قصص الأنبيا المقصوصة فى القرآن ليشيع فيها فكرته : ثورة القدر ؛ فى كل من تلك القصص ثار عليهم القدو . وليس فيا قصه (نظما) من جديد سوى أن يخبر عن أولئك الناس بأن الذى نزل بهم هو من ثورة القدر . ولقد حاول ، فى أبيات ، أن يستخلص العبرة فكأن القدر وقف فى سبيل توفيقه فى ذلك ... وليته ترك العبرة لتؤخذ من الخبر كما قال فى القصيدة :

ما حيـــاة المرء إلا خبر فخذ الحكمة من معنى الخبر

على أن قوام ذلك من استخلاص العبرة أو أخذها من الخبر ، أن يمزج بأحاسيس الشـاعر ، ويؤدى إلى أحاسيس الناس فيطربهم ، أو يجتذب ارتياحهم ، أو ما بين ذلك من درجات التأثير . فاذا فى القصيدة من ذلك ؟ إليك المطلع تليه قصة آدم وابليس :

عاصف ما قيل أمسك فازدجر زلزل الأقطار واجتاح البشر
هاجه من قبل فى مربضه طائف ما مسه حتى انفجر
أخذ الخصمين فى هبوته وهوى غضبان يرمى بالشرر
من طريد أهلكته سجدة وشريد غاله شؤم الشجر
ثورة فى الأرض من آثارها كل يوم ثورة تزجى العبر
شمخ الكبر بهذا فهوى وأراد الخلد هـذا فاندثر
ثورة خاطئة لو لم تقم فى ظلال العرش ما ثار القدر
تجمح النفس فلا تنفعها بينات الأمر من خير وشر
وجلال الحق فى صورته مظهر العزة فى هذى الصور
فاز بالرضوان من أكبره فتجافى عن هوان وصغر

فترى أن أكثر العناية فى قوة الألفاظ وقوة القافية ، وهذا موائم لحال المنى ؛ ولكن هذه الأبيات ، بل القصور المؤلفة من صخور الكلم وجلاميد القوافى لا تملأ جوانبها روح الشعر ، ولقد وصف الشعر فى هذا البيت من القصيدة :

ومن الشعر قصور فخمة وقبور موحشات وحفر

بما ينطبق على شعره ، فهو يقدم الشعر ، من حيث الجودة والرداءة الى القصور الفخمة والقبور الموحشة ، فيعبر عن الشعر العالى بالقصور الفخمة وان كانت غير آهلة !

سرد الشاعر القصص مبيناً فيها مواطن ثورة القدر ، وفى جميعها لم يثر القدر الا على أقوام أبوا اجابة دعوة الرسل وسخروا منهم وأفسدوا فى الأرض فكان ما نزل بهم عقاباً لهم على طغيانهم ؛ ثم أخذ يصف هذا القدر المعاقب بالظلم والبغى ، فيقول :

ينصب الظلم على مخلبه ما تمنى من قصور وسرر
وترى البغى على أنيابه ناعم الروحات ريان البكر

فكيف يتفق رميه القدر بالظلم والبغى مع ما قدمه قبل ذلك من الاشادة بعدله فى صرع المتجبرين العاصين ؟ !

والشاعر يتحدث فى آخر القصيدة عن الشعر وعن موسم الشعر بدون مناسبة للموضوع ، ولو كان ثمت مناسبة لكان استطراداً مقبولاً

ولقد أحسن فى وصف من أغرقهم الطوفان بقوله :

غمر القوم فهم فى جوفه فتنة غرق وكفر مستتر
أمم كالملح ذابت وقرى ذهبت كالحلم أو وهم خطر

فقد ألم فى هذين البيتين بمعان سرية ودل عليها بأوجز لفظ

لوعة نسيم

بى فوق ما بك منهم أيها الطلل لك البلى ولى التبريح والعلل
محتك من عاصفات الريح سافية وواكف من شآبيب الحيا هطل

أود أن أعرف أين الطلل الذى يخاطبه الأستاذ أحمد نسيم هذه المخاطبة ، فما أظن من كان يحبها إلا ساكنة فى «عمارة» أو «فيلا» أو فى بيت عادى على الأقل . واذا ارتحلت عن مسكنها فلا بد أن يحل محلها من سمره ؛ وهو إذا بكى فلا بد من هدمه وبنائه من جديد ، فلا الريح السافية تمحوه ، ولا واكف المطر يهطل على رسومه . لقد كان الشعراء الأولون يقفون على أطلال حبائبهم ، فتملأ نفوسهم تشوقاً وحسرة على ما مضى ، فيقولون الشعر فيما يحسون ، أما نحن فى هذا العصر فلا نقف — بعد زوال عهد الصبابة — إلا على ما تحتويه أدراج المكاتب من

الرسائل الغرامية والصور الفتوغرافية وما الى ذلك ، فمن يقف منا على طلل فانما يقف على طلل الزمن القديم لا على طلل الأحبة

على أنه مهما يكن من شيء فان الأستاذ نسيم يكاد يبلغ في هذا المعنى مبلغ المجيدين من قدامى الشعراء ، وخاصة في قوله :

« لك البلى ولى التبريح والعلل »

والقصيدة ليست في موضوع خاص ، وإنما هي (لامية نسيم) أي أن موضوعها ما يقوله نسيم على قافية اللام . . . وهي مع هذا منسجمة المعاني ، متآلفة الأجزاء ، يزينها البيان ، وأبياتها عامرة بالمعاني ، منها قوله في وصف المشيب :

قل للمشيب إذا ما لاح مشتعلا
ما أنت إلا لظى في القلب مشتعل

إلى أن يقول :

كأنه أحرف بيض يسطرها في مفرق كاتب للعمر مختزل

وأناشدك الشعر أن تقف معي برهة عند هذا القصر الفخم ، لا البيت ، ولا الطلل الذي وقف عليه الشاعر ؛ لنجتلي ما يحتويه من الغرائب ، فهذا كاتب يتعبه الحساب : حساب سني العمر الطويلة ، فيعمد إلى اختزالها بطريقة غريبة ، وهي تسطير الحروف البيضاء في المفارق

ومن محاسن القصيدة قوله :

شرٌّ من الخطب مر رحت تحسبه
أهلاً لفوتك وهو العاجز الوكل
يختال في حلل خز ولو عقلت لنسلت نسجها من خزيها الحال
وكيف يفخر مغتر بحليته وصدره من قلادات النهى عطل
شأن الغنى الذي يضحى بلا عمل
شأن النبي الذي يزرى به الكسل

ولكن وصفه لنفسه ، بضمير الغائب ، في قوله :

كأنه شامخ لا الحزن يوهنه ولا يحرك من أركانه الجذل

لا يليق بالشاعر الذي من خصائصه أن يكون مرهف الحس فلابد أن يطرب ويحرك الجذل من أركانه

اجتماعيات

قصيدة الأستاذ السيد حسن القاياتي ، وهي قصيدة قديمة تردد مجالس الأدب بعض أبياتها كقوله :

كأن وساما يعتلي صدر جاهل جنى من الأزهار يحمله قبر !!

ويتنادرون بأنه أنشدها المرحوم حافظ بك ابرهيم فلما جاء عند قوله :

لو ان المساعي تكسب المجد لم يلح بأوج العلا الا أنا وأخي البدر

قال له حافظ : ايه يا أخانا . . يورى بأنه البدر

وهي — كسائر شعر القاياتي — نبيلة الأغراض ، مركزة المعاني ، وكثيراً ما أغار على معانيها لصوص الشعر كأنما صاحبها قد أنهبها . . تضيق ألفاظها بمعانيها ، فبعض المعاني يعوزه البسط في التأدية مثل قوله :

حبيب الى الانسان كل طريفة ولو بات في أثناء بردته البدر

فهو في حاجة الى أن يبين بأن اللازم عمل ولو كان البدر ؛ على أن أكثر المعاني يؤديها اللفظ بايجاز بليغ كقوله :

شمائل غر أصبحت وهي سؤدد وبانعة الأثواب أولها زهر

والقاياتي عميق الفكرة ، دقيق الالتفات ، ولعل هذا هو الذي يجعله ضنينا بالبسط ، فهو يرى أنه أبان بتأديته المعاني بذلك الايجاز ، فالزيادة حشو ، فهو يعلو في أسلوبه مترفعاً بالجزالة عن السهولة والتبذل ، انظر الى قوله :

أشف وصال الغانيات ملاحة تُلهّيك بالحسناء ليس لها مهر

فانك وأنا إذا أردنا أن نعلم ما يقول لابد أن نشحذ الذهن لينفذ الى عمقه ، وهناك نقف على معناه ، يقول : ملاحة الحسناء التي لا تزوجها فلا تدفع لها مهراً أشهى وصال الغانيات وأشده فتلاً للكلف المدلّه

والقاياتي شاعر مجدد .. من المجددين الحقيقيين لا الذين يرددون كلمة التجديد ، ويتحلون بعضها ، فهذه قصيدته قل أن تجد فيها معنى من المعاني العامة ، فأكثرها مشابه من خواص المعاني التي لم يسبق اليها كقوله :

كأن وساماً يعتلي صدر جاهل . جنىً من الأزهار يحمله قبر !

وقوله :

تطالعنا تحت البراقع أوجه حسان كما يغرى دُجُنّته الفجر

وقد تناول في القصيدة بعض النواحي الاجتماعية بالنبي والنقد المر كقوله يصف المجالس والمجتمعات :

مجالس حفل بالقبيح كأنها مغاني بغايا ماؤها الفحش والهجر

الى أن يقول في ذلك :

تحياتهم سب الجدود فكاهة وكم نيل فيمن يشتهون فتى برر
سباب تهاداه الثغور بواسما كأن الذي أهداه بينهم عطر !

وقد صور نوازعه وأحاسيسه فى القصيدة تصويراً بارعاً صادقاً والأبيات الآتية تدل على نبل خلقه ، وتصور صيول نفسه ، قال :

إلى الله أشكو أننى لست واجدا سوى لذة من دون تحصيلها العمر
أشف وصال الغانيات ملاحة تلهيك بالحسناء ليس لها مهر
إذا أمكنت من ريقها الخمر صاح بى نذير الهدى : ما أنت ويحك والخمر
أمر بها فى الكأس حمراء عذبة فأحسبها جمراً وفى كبدى جمر

وفى البيت الأخير يقول إنه يمر بالكأس حمراء عذبة ، فاذا كان يشهدها حمراء فكيف علم عذوبتها ؟ !

قد يباح للشاعر أن يتردد ويتناقض فى قصائد من شعره لاختلاف الظروف التى تحيط بمشاعره ، فان للشاعر من ذلك ما ليس للعالم الباحث ؛ ولكن لا يجوز له أن يتردد أو يتناقض فى قصيدة واحدة ، فكيف نجمع شاعرنا بين قوله :

كفى ضنية للحسن خدر يصونه
أرى الطيب كل الطيب أن يهتك الخدر

وقوله :

كناسكم يا أيها الغيد أننى ضمنت لكم أن ينهب اللؤلؤ النثر
هو العار فليقن الحياء وإنه
لكالنحر للعشاق أن يكشف النحر

وفى البيت التالى مغالطة :

يقولون ان الراح للفكر صيقل
وربك ما فى الراح عقل ولا فكر

فان خلو الراح من العقل والفكر لا يمنع من أن تصقل الفكر ، وهناك كثير من الأشياء تصقل الفكر وليس لها عقل ولا فكر

الشباب

والأستاذ حسين شفيق المصرى لا يذكر الشباب إلا بالهوى والشراب كأن الشباب ليس فيه ما يذكر وما يتحسر عليه إلا الأوانس والحيا ، فهو يقول فى المطلع :

تذكر بعد أن شاب الشبابا فأنّ وقد دعاه فأجابا
وشاقته الأوانس والحيا فود من التشوق لو تصابى

وليس فى القصيدة ذكر للشباب بغير اللهو والمجون ، فهى لا تعنى الشباب الا بما فيه من التماجن ، أما ما يلابس الشباب من نواحى الجد فلا أثر له فيها

والقصيدة عليها مسحة من الجودة ، وفيها أبيات مطربة كقوله فى وصف الكأس والنديم :

أيا حزناً علىّ ولست أنسى ليالى كنت أحسوها شرابا
ينادمنى غضيض الطرف صاح ذكى يستبيك اذا تغابى
يميل بكأسه يسقيك منها صفاء بعد أن رشف الحبابا
فلا أدرى أكانت من رحيق كنفح الطيب أم كانت رضابا
سحرت وهل شرابك غير سحر وضوء الشمس بين يديك ذابا
حنانك أبق من عقلى قليلاً لأعلم حين تسألنى الجوابا

وهذا فى الحق ابداع وفى قوله : « ذكى يستبيك اذا تغابى » جمال يستبيك

وشعر الأستاذ حسين شفيق خفيف الظل ، تشيع فيه روح الفكاهة . ويظهر أن هذه الروح تلازمه حتى انك تجدها فى التحسر على سالف الشباب ، وكم هو ظريف فى قوله :

ومن يكتم حساب سنيه يوماً فصفحة وجهه تبدى الحسابا

كأن صفحة الوجه « عداد » للسنين ...

وهو فى هذا البيت :

ولولا أن يقال دهاه مس تخولط ما تأيت الخضابا

لا يأبى الخضاب إلا خشية اللوم ، أى أن الخضاب عنده ان لم يكن يوده فهو أمر لا غبار عليه ، ولكنه فى البيت التالى :

ومن ظن الشباب صبيغ شعر فان الصقر قد أمسى غرابا

يسخر من صبغ الشعر ، فيقول ان صبغ الشعر لا يجتاب الشباب ، وانما يشوه ، كما يمسخ الصقر غرابا اذا صبغ بالسواد ، والخضاب والصبغ من قبيل واحد ، فورادته الخضاب فى البيت الأول لا تتفق مع السخرية من صبغ الشعر فى البيت الثانى

وقد تعارف الناس على أن شارة الحداد السواد ، ولكنه يقول :

تخذت بياض رأسي لى حدادا على عمر الشباب فوا شبابا

فكيف يتخذ البياض حدادا ؟ (١)

غريب فى باريس

ليس يكفى هذا العنوان ويعلم الناس أن الدكتور زكى

(١) السواد شارة الحداد عند المشارقة ، أما أهل الأندلس فيتخذون البياض حداداً (الرسالة)

مبارك قضى فترة من الزمن فى باريس يطلب العلم فى احدى جامعاتها ، لأن تصف هذه القصيدة غريباً فى باريس ، بل لا بد أن تفى القصيدة نفسها بهذا الغرض ، لا بد أن تصف غريباً وتصور نوازعه وحنينه الى وطنه ، ولا بد أن يكون هذا الوصف ملابساً لباريس مشتملاً على خصائصها . أما عن الشطر الأول فقد فعل وأحسن ، وان كان لم يُجد الاجادة التى تنبغى للدكتور زكى مبارك ؛ تألم من الغربة فقال :

يا جنة الخلد كيف يشقى ... فى ظلك النازح الغريب
الناس من لهوهم نشاوى ... ودمعه دافق صبيب
يقتات أشجانه وحيداً ... فلا صديق ولا قريب
أقصى أمانيه حين عسى ... أن يهجع الخفق والوجيب

وهذه الأبيات أحسن ما فى القصيدة

وحن الى وطنه فقال :

متانى النيل كيف أقصت ... ربيب أزهارك الخطوب
وكيف ألقينه بأرض ... أصح أحلامها كذوب

وصور نوازعه الى المجد الذى قد اغترب من أجله فقال :

يسدد السهم ليس يدرى ... أيخطئ السهم أم يصيب
يطارد المجد فى زمان ... اقباله غادر لعوب
الشهم من ناسه شريد ... والحر من أهله غريب

وهـــذه الأبيات — وان كانت عادية — فيها روح من يطارد المجد

وأما باريس ، فلها الله باريس ! كل ما أثنى به عنها قوله فى المطلع : « يا جنة الخلد » وقوله بعد ما ذكر أنه ألقى بأرض اصح احلامها كذوب:

أديم أجوائها سواد ... فلا شروق ولا غروب
وحب غاداتها موات ... فلا سكون ولا هبوب

أكل ما يقال عن باريس أن الضباب يملأ أجواءها وأن حب غاداتها موات ؟ وهل تعد هذه الأشياء من خصائص باريس التى تميزها من غيرها ؟ أو لا يصح أن يطلق على القصيدة بدلاً من « غريب فى باريس » : غريب فى أى بلد من بلاد الله التى يصح أن تشبه بجنة الخلد ، ويكثر فيها الضباب ويكون حب غاداتها مواتا . . ؟

ألا ان الغريب فى باريس يقول قصيدة لم يقلها بعد الدكتور زكى مبارك

ملاحظات شعراء

هم الأساتذة : سيد ابراهيم ، عزيز بشاى ، كامل كيلانى . أنشد كل منهم قصيدة كنا نود لو أنشأ أو اختار من شعره غيرها تكون أدنى الى الغاية المرجوة من الموسم ، فالناس يبتغون من موسم محتفل له شعراً يشعرهم بجزالته وعلو معانيه وسمو أخيلته أن للموسم خطراً . . . أما الأول والثانى فكان قولهما نافهاً : معان عامة وأفكار عادية وأسلوب خال من القوالب والتعبيرات الشعرية مثل قول الأول يناجى ولده :

جذلان تفرح لو يز ... يد على نصيبك درهم

وقول الثانى يصف حال الأغنياء :

لا يملؤون بليم عقولهمُ ... ويملؤون بطوناً بالجنيهات

وما الى هذا مما لا نطيل بذكره لعدم فائدته . وانه لخير للأستاذ سيد ابراهيم أن يقتصر على خطه الجميل ويدع الشعر للشعراء

أما الثالث وهو الأستاذ كامل كيلانى فقد ألقى قصيدته « الباز والقبرة » وهى تحكى أن « بازاً » اصطاد « قبرة » فجاءه « لقلق » يأخذ عليه استبداده بالقبرة الضعيفة ، فقال له الباز : وأنت أيضاً تصطاد الضفدع الضعيف فهلا تركته كما تريد منى أن أدع القبرة . ثم علق الأستاذ على الحكاية بعد أن ساقها نظما بقوله :

كم خطيب على المكا ... رم قد حث معشره
ان رأى ناكباً عن الخي ... ر لحاه وعيره
هفوات الورى يرا ... هـا ذنوباً مكبره
ثم يلقى ذنوبه هفوات ... مصغره
مثل هـذا منافق ... جعل النصح متجره
نصحه كله خـدا ... ع وغش وتمره

وموضع قصيدة مثل هذه كتاب من كتب الأطفال ، لا موسم الشعر ؛ وأسلوبها سليم ، ونظمها طبيعى لا تكلف فيه أما نقدها من حيث الموضوع فمن اختصاص أهل العلم بتربية الأطفال ، فلا نقول فيما لا نعلم

عباس محمود مصر

٣ـ أثر الحرب الكبرى في بريطانيا

للأستاذ رمزى ميور
أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة منشستر سابقاً
تتمة
ترجمة الأستاذ محمد بدران
ناظر مدرسة بمباقادن الابتدائية

وفى ايرلندة أيضاً لاح أن الحرب قد أتاحت لها فرصة العمل على نيل ما كانت تطالبه منذ زمن بعيد من تقرير حقها فى الحكم الذاتى . وكانت ايرلندة هى الجزء الوحيد من أجزاء الامبراطورية الذى انتهز فرصة الحرب للثورة مع أن هذه البلاد كانت من الوجهة القانونية جزءا من المملكة المتحدة ممثلا فى البرلمان البريطانى أتم تمثيل . وقد فعلت ايرلندة ذلك من قبل فثارت فى كل حرب من الحروب الأوربية الثلاث التى اشتبكت فيها بريطانيا فى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر . شبت الثورة فيها علنا سنة ١٩١٦ ، ثم أخمدت ولكن الحكومة شعرت أن من الخطر أن تطالب ايرلندة بما كانت تطالب به انجلترا واسكتلندة وويلز من الرجال ، ومع أن كثيرين من الايرلنديين قد تطوعوا للحرب باختيارهم فقد بقى الشعب الايرلندى بوجه عام فى معزل عنها يدعو الله أن يخذل بريطانيا . ولما وضعت الحرب أوزارها شبت فيها من جديد نار الثورة التى كان يلوح وميضها خلال الرماد ، ودارت فيها رحى حرب أهلية طاحنة انتهت باذعان بريطانيا وتسليمها للقوة بما لم ترض أن تسلم به للنزاع الدستورى فأعطت الايرلنديين أكثر مما كانوا يرتضونه قبل ذلك الحين ، ذلك أنها قبلت فى سنة ١٩٢١ أن تتكون من أربعة أخماس ايرلندة « دولة ايرلندة الحرة » وهى دولة ذات استقلال داخلى تام تتمتع بنظام « الأملاك المستقلة » وبحق تقرير ضرائبها الجركية وإنشاء جيشها وسن قوانينها وسك عملتها . وبذلك كان جزء الأمبراطورية الوحيد الذى ظل طلبه الحكم الذاتى يرفض على الدوام جزءها الوحيد الذى نبذ كل فروض الطاعة والولاء أثناء الحرب ، وكان أعظم النتائج السياسية للحرب وأعجبها أن انتهى بهذه الطريقة الحاسمة ذلك الكفاح الطويل الذى دام أربعة قرون ، وتلك مقارنة ذات مغزى جليل تثبت أن الحرية لا الارغام هى التى تمسك أجزاء الأمبراطورية وتمنعها من التصدع والانهيار ، وهى أول امبراطورية قامت فى تاريخ العالم ينطبق عليها هذا البدأ

وأول ما نشأ عن مطالبة أجزاء الأمبراطورية أن تشترك اشتراكا أوسع من ذى قبل فى الاشراف على شؤونها أن دعيت طائفة من الساسة يمثلون الأملاك المستقلة والهند لينضموا إلى عضوية « المجلس الحربى » وكان لهؤلاء الأعضاء شأن كبير فى تقرير السياسة التى اتبعت فى آخر أدوار الحرب ، وكان يظن أن هذا سيؤدى إلى وضع نظام للتعاون بين أجزاء الأمبراطورية أدق وأوفى بالغرض من النظام القديم . لكن شيئاً من ذلك لم يحصل لسبب رآه المتتبعون لسير الحوادث نذيراً بانحلال الأمبراطورية فى المستقبل ، ذلك أنه لما عقد مؤتمر الصلح حضره مندوبون عن الأملاك المستقلة والهند ، ولكنهم لم يحضروه من حيث هم أعضاء فى وفد الأمبراطورية البريطانية فحسب ، بل من حيث هم ممثلون لبلادهم أيضاً ، ثم وقعوا المعاهدات كممثلين لدول مستقلة ، ولما تكونت عصبة الأمم ظهرت الأملاك المستقلة والهند مرة أخرى وإن كان ظهورها فى هذه المرة اختلف بعض الاختلاف عنه فى المرة السابقة ؛ فقد جعلت الأمبراطورية البريطانية من حيث هى وحدة قائمة بذاتها عضوا دائماً فى مجلس العصبة ، لكن كندا واستراليا وزيلندة الجديدة وجنوب افريقية والهند أصبحت كلها أعضاء فى الجمعية العمومية للعصبة لها مالللدول المستقلة ، وأصبحت كندا بالفعل عضوا من أعضاء المجلس غير الدائمين . ويرى البعض فى هذه الظواهر دليلا على أن الأمبراطورية لا ينظر اليها فى هذه الهيئة العالمية كما ينظر إلى وحدة سياسية ، بل يعامل كل جزء من أجزائها معاملة دولة مستقلة ذات سيادة ، ويعزز هذا أن تلك الأملاك أعطيت حقها كاملاً غير منقوص فى بحث المسائل الدولية داخل العصبة أو عن طريقها ، وأن الذى تبحثه ليس هو السياسة التى يجب أن تسير عليها الأمبراطورية المؤلفة من هذه الأملاك ، بل إنها تشترك فى البحث اشتراك الدول المستقلة

وهكذا أظهرت الحرب ولاء أعضاء الامبراطورية لها ،

ولكنها أعقبها ضعف ظاهر فى الروابط التى تؤلف بين هؤلاء الأعضاء . فالأملاك المستقلة تطلب لنفسها حق تعيين سفراء من قبلها لدى الدول الأجنبية وأصبحت تتمتع بهذا الحق دون معارضة ، فقد عينت كل من كندا وإيرلندة سفيراً لها فى واشنجتن ، وتطالب هذه الأملاك أيضاً بحق عقد المعاهدات مستقلة مع الدول الأجنبية . وقد عقدت جنوب إفريقية بالفعل معاهدة مع ألمانيا . واعترفت بريطانيا نفسها بهذا الانحلال التدريجى وبتفكك وحدة الامبراطورية السياسية فقد نص فى معاهدات لوكارنو صراحة على أن بريطانيا وحدها هى التى ترتبط بالتعهدات المدونة فى هذه المعاهدات وأن الأملاك المستقلة لا شأن لها بها . ووضع هذا النص بناء على طلب الأملاك المستقلة نفسها لأن السياسة التى قامت عليها هذه المعاهدات لم تكن وليدة اتفاق عام بين أجزاء الامبراطورية بل قررتها بريطانيا بمفردها إذ لا توجد أداة لوضع سياسة عامة تسير عليها الامبراطورية

وبهذه الطريقة أصبحت الامبراطورية البريطانية بعد الحرب هيئة سياسية مفككة المرى ؛ فليست هى دولة واحدة إلا فى خضوعها خضوعاً اسمياً لتاج واحد ، وليست هى دولة تعاهدية أو حلفاً قانونياً أو عصبة مجتمعة تعرف بها ، وذلك لأنه لا توجد معاهدة تحتم على أعضائها الاشتراك فى العمل . وإنما هى شركة مفككة مكونة من دول مستقلة تربطها بعضها ببعض عاطفة ومصالح مشتركة ولكل عضو فيها كامل الحرية فى أن يختط لنفسه الخطة التى تلائمه فى أى وقت شاء . واعترف بهذا اعترافاً كاملاً صريحاً فى المؤتمر الامبراطورى الذى عقد فى عام ١٩٢٦ والذى كانت قراراته من أهم الحوادث البارزة فى تاريخ الامبراطورية البريطانية . وقد يرى فيها المؤرخون فى المستقبل تسجيلاً نهائياً لترك كل محاولة ترمى إلى تدعيم وحدة الامبراطورية السياسية واعترافاً بانحلالها: هذه الامبراطورية انحلالاً ودياً نهائياً . والدليل على ذلك أن الاملاك المستقلة أعضاء فى عصبة الأمم تربطها بها روابط وثيقة وليست أعضاء مرتبطة فى جسم الامبراطورية

ومع هذا فان الأملاك المستقلة (مع جواز استثناء دولة إيرلندة الحرة وجنوب أفريقية) تعد نفسها مرتبطة بالامبراطورية برباط أقوى مما بينها وبين العصبة . وإنما الفارق بين الهيئتين أن العصبة أوجدت أداة للاستشارة المشتركة ، والعمل المشترك أحكم من كل ما فكرت فيه الامبراطورية . فللعصبة جمعيتها العمومية التى تنعقد بانتظام فى كل عام والتى تدور فيها المناقشات العامة ، وللعصبة مجلسها الذى يجتمع ثلاث مرات فى السنة . أما الامبراطورية فليس لها إلا المؤتمر الامبراطورى الذى يجتمع مرة فى كل أربع سنوات والذى حددت له واجباته . وللعصبة سكرتيرية بديعة النظام ذات هيئات خاصة من الخبراء تبحث المشاكل الحربية والاقتصادية ومسائل العمال والصحة وما الى ذلك ؛ أما الامبراطورية فليست لها هيئة مركزية إلا وزارة المستعمرات التى هى جزء من الأداة الحكومية لعضو واحد من أعضائها وهى لذلك لا تستطيع أن تعمل معتمدة على تأييد جميع الأعضاء

ويرى الجنرال اسمطس الذى ربما كان أعظم ساسة الامبراطورية كلها والذى كان منذ ثلاثين عاماً يقاومها بقوة السلاح ، ويرى هذا الجنرال أن الحكومة اللامركزية فى الامبراطورية وصلت الى أبعد حد حتى أصبحت انحلالاً حقيقياً ، وهو قوى الاعتقاد بأن الرابطة السياسية التى نشرت لواء السلام على ربع بلاد العالم هى رابطة جليلة القدر يجب ألا يسمح لها بالانحلال تدريجاً ، ولذلك يدعو إلى العمل فوراً لتقوية هذه الرابطة بوسيلة لا تنقص من استقلال أجزاء الامبراطورية كما لا تنقص عصبة الأمم من هذا الاستقلال

فاذا ماشرع فى العمل لهذه الغاية فان أربعة أمور تجب مراعاتها بنوع خاص : أولها أن توجد وسيلة للتشاور الدائم فى السياسة الخارجية تضمن اتحاد الامبراطورية كلها فى العمل داخل دائرة العصبة وبهذه الوسيلة يتسنى للامبراطورية (التى هى أكبر قوة لنشر لواء السلم فى العالم) أن تضطلع بقسط كبير فى تقوية دعائم السلم العالمى . والأمر الثانى أن توضع سياسة مشتركة للدفاع الامبراطورى يمكن بواسطتها تنفيذ العهود التى باقيها على عاتقها ميثاق العصبة ونشر لواء السلم والقانون فى الأصقاع الواسعة المتأخرة غير المستثمرة داخل حدود الامبراطورية . والأمر الثالث أن توجد وسيلة للتشاور والاتفاق على الطريقة التى تعامل بها الشعوب المتأخرة التى تكون الآن قسماً كبيراً من سكان الامبراطورية . ذلك بأن تبعة حكم هذه الشعوب المتأخرة يقع معظمها الآن على عاتق بريطانيا . غير أن أفريقية الجنوبية تقع عليها أيضاً تبعات كبيرة من هذا القبيل . كذلك انتدبت استراليا وزيلندة الجديدة بعد الحرب لادارة أرضين واسعة فى غانة الجديدة وجزائر المحيط الهادى . وتعانى كندا مشاكلها الخاصة فى كيفية

حكم الهنود الحمر فى غربها والاسكيمو فى شمالها . ومع أن الشعوب البريطانية أخذت على عاتقها هذه التبعات العظيمة وهى إرشاد الشعوب المتأخرة ونشر المدنية بينها فانها لم تعن إلا عناية قليلة بدراسة المشاكل الناشئة من هذا الواجب دراسة علمية ، ولم تحاول الشعوب البريطانية أن تتبادل الرأى للاتفاق على المبادئ التى يجب أن تسير عليها فى تحضير هذه الشعوب . وأخيراً إن الامبراطورية فى حاجة شديدة إلى اشتراك أجزائها فى العمل فى الميدان الاقتصادى . لقد أخذت الشعوب البريطانية على عاتقها القيام بعمل كبير هو تنمية موارد أصقاع واسعة فى العالم ، لم تتم بعد ، حتى تنتفع الانسانية بهذه الموارد ، ولكنها لم تعر هذا العمل ما يستحقه من العناية . وليس لها أن تعده مجرد وسيلة لاستغلال هذه البلاد أو تتركه للظروف والأقدار أو تكله لاشراف الاتحادات التجارية الكبيرة غير المنظمة بل يجب عليها أن تفكر فيه وتنظمه على قاعدة تعاونية بالاتفاق مع جميع الدول الداخلة فى دائرة الامبراطورية والتى تشترك معها فى تحمل تبعته كما أن عليها عند ما تقوم بهذا الواجب أن تراعى جانب العدل فى معاملة الشعوب الهمجية

إن المجال لا يتسع هنا لبحث ما يتبع من الوسائل فى أداء هذه الواجبات أو الأداة اللازمة لأدائها ، ولكن الذى لا مرية فيه أنه إذا لم يشرع العاملون على تنمية موارد الامبراطورية فى عملهم بمثل هذا الروح الذى وصفناه وهم عالمون بما فى وسعهم أن يصلوا إليه بمجهودهم ، إذا لم يفعلوا ذلك فان الأمل قليل فى بقاء الامبراطورية البريطانية كهيئة سياسية عاملة . لقد أخذت هذه الامبراطورية تسير بعد الحرب نحو الانحلال السلمى بخطى سريعة ، وإذا ظلت تسير فى هذه السبيل كان ذلك دليلاً على افلاس السياسة البريطانية

ولقد كان من نتائج شعور الأمبراطورية بحاجتها الى سياسة تعاون قومية أن وضعت عدة اقتراحات ترمى كلها الى تدعيم وحدتها بتقوية الروابط المالية بين أجزائها المختلفة . ومن هذه الاقتراحات أن تترك الأملاك المستقلة والهند سياسة الاكتفاء بالنفس من الناحية الاقتصادية أو تعدلها بعض التعديل على أن تعود الامبراطورية مجتمعة الى السياسة التى كانت تسير عليها بين عام ١٦٦٠ وثورة المستعمرات الأمريكية فتبدأ بإقامة سياج جمركى حول الامبراطورية كلها بصد تجارة البلاد غير البريطانية ثم يتبع فى داخل هذا السياج بالتدريج نظام التجارة الامبراطورية الحرة . ويرجو أنصار هذا الرأى أن تؤدى هذه الوسائل الى تمكين الامبراطورية البريطانية بصفة عامة من الاكتفاء بنفسها وهو ما تعجز عنه بريطانيا وحدها بطبيعة الحال . وبذلك تصبح الامبراطورية وحدة مالية على نمط الولايات المتحدة الأمريكية وتحقق الفكرة التى يدعو إليها بعضهم لتكون علاجاً لما نزل بأوربا من الكوارث وهو انشاء ولايات متحدة أوربية وان كان الأمل فى تحقيق هذه الفكرة ضعيفاً . على أن الصعاب القائمة فى وجه هذا المشروع البريطانى كبيرة جمة . منها أن الأملاك المستقلة والهند لم تظهر دليلاً على استعدادها لترك سياسة الاكتفاء بالنفس التى تسير عليها أو تسمح بدخول البضائع البريطانية التى تنافس منتجاتها الى بلادها ، ومنها أن الرخاء الذى تتمتع به معظم البلاد التابعة للامبراطورية ناشئ من قدرتها على الاتجار بكامل حريتها مع جميع بلاد العالم وأن الأمم التجارية الأخرى تعارض فى نقض هذه السياسة . وزيادة على ذلك فان المعاهدات تحتم على كثير من الأملاك البريطانية وبخاصة ما كان منها تحت الانتداب أن تسوى بين بضائع جميع الأمم فى بلادها وحتى إذا أمكن التغلب على هذه الصعاب فان كثيرين من الناس يعتقدون أن الامبراطورية إذ استحالت وحدة مالية مستقلة عن غيرها أصبحت سبباً للاحتكاك والحرب بدل أن تكون عاملاً من عوامل السلم ، وإن اتباع سياسة الاكتفاء بالنفس والاستقلال عن الغير الى هذا الحد الكبير يجر الخراب على العالم ، ومن الناس من يعتقد أن بريطانيا نفسها لا تستطيع وهى آمنة أن تنام هذه المغامرة الخطرة فتضحى بثانى تجارتها مع البلدان الأجنبية لكى تنمى الثلث الباقى وهو تجارتها مع سائر أجزاء الامبراطورية

على أن الجدل الذى قام حول هذه المشكلة المالية لا يمت بصلة إلى المشكلة الأخرى الكبيرة التى قد تطغى عليها المشكلة المالية وهى : هل يسمح أن تستمر عملية التفكك التى يلوح أنها أخذت تدب فى جسم الامبراطورية بعد الحرب دون أن تتخذ الوسائل لوقفها عند حد ؟ وهل تستمر الامبراطورية على أنها أخوة من الأمم لا يرتبط بعضها ببعض إلا برباط العواطف وأن يكون مافيها من أداة للتعاون أقل صلاحاً للعمل من أداة عصبة الأمم وهى الهيئة التى ليس بين أعضائها من الروابط ما بين أجزاء الامبراطورية ؟ أو هل يستطاع إيجاد وسائط للتشاور والاشتراك فى السياسة

مقطوعات شعرية

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

صلاح الحياة أم غايتها

قل كيف نحيا ولا تقل لى ما حكمة العيش والبقاء
فمطلب للعلاء يحدو وآخر كله عناء
كم سأل السائلون قدماً ما الكون ما العيش ما الفناء
مسألة مالها جواب وليس يُلقَى لها غناء
كساخط من طروق داء وتارك خلفه الدواء

ود الأسى

يا رفاقاً طالما أنستهمُ لذةُ العيش حزيناً ، يا رفاق
قد وجدت الصدق فى ود الأسى مِقَةُ اللذات كسب ونفاق

غبى زكى

يا غبياً رأى الذكاء شقاء ورأى النحس أن يكون أريبا
أنت أذكى من الذكى الذى يحـ يا شقياً لكى يكون أديبا
وإذا كانت الغباوة نعمى فمن الحمق أن تكون لبيبا[1]

(١) للمعرى ولاسكندر بوب مثل هذا المعنى

الخارجية والدفاع وحكم الشعوب المتأخرة وما اضطلعت به من إنماء موارد البلاد الواسعة من غير أن يمس ذلك استقلال أعضائها الداخلى بحال من الأحوال ؟ إن هذا النظام إذا أُنشئ لا يتعارض بطبيعة الحال مع الأغراض التى قامت من أجلها عصبة الأمم بل يقوى بناءها ويمكن أساسها ، كما أنه لا يزيد فى أخطار الاحتكاك والنزاع إلا إذا اتبعت فيه سياسة العزلة التجارية .

ولن يكون له إلا معنى واحد وهو أن أكبر إخاء من الشعوب المختلفة رآه العالم فى تاريخ حياته يستخدم ما يخوله التعاون من قوة فى استثمار موارد ربع أنحاء المعمورة وتهيئة هذه الموارد لخير هذا الاخاء ولخير العالم المتمدين كله ولترقية الشعوب المتأخرة

ليس بين المشاكل التى خلفتها الحرب وتركتها من غير حل أعقد من هذه المشكلة وأعصى منها على الحل .

محمد بدران

البصير الأعمى

يا قلب صبراً ولا تعتب على قسم
قد استوى الناس فى عتب على القسم
الحظ أعمى لدى من لم ينل أرباً وهو البصير لدى من فاز بالنعم

غبطة الضعة

فى كل نفس من نفوس الورى شىء من الحقد وسوء الظنون
إن كذّبَ المُثنى على نفسه صدّقَ من يُزْرى بفضل القرين
لذاك يُعلى الحب من نفسه إن هدّ من فضل بمدح قرين[1]
أكثر من إعلائه نفسه بأن يزكى النفس عند الفطين

نابح

كل بِشرٍ منه فخٌّ كل لفظ منه غدرْ
بلغ النجحَ بلؤم إن بعض النجح وِزرْ

الكذب

للكذب فى الناس أوساط مُجَنَّحةْ
والصدق يسعى لديهم كالسُّلَحفَاةِ
يهوون مالا يسيغ العقل من كذب
وينبذ الحق من حرص المجاراة
كأنما الكذب ملح يستلذ به طهى الحديث وإشباع السخيات[2]

اخفاء السريرة بالنطق

أتحسب أن الله أعطاك منطقاً
لتبسط من لغو الكلام على الصدق
وإن لسانا بين فكيك ناطق لاخفاء مادون السريرة بالنطق
وتكتم ماقد يُظهِر الوجه أمرَه بقولك قولاً باطلاً مشبه الحق

عجائب الحقر

عجبت للمرء فى بغض وفى مِقَةٍ هما العجيبان إن آخى وحين عدا
يرمى النِّفَايةَ لا يبغى لها ثمناً حتى إذا ماحواها راغب حسدا
ويغفر الذنب من إحسان فاعله حتى إذا ماتقدت آلاؤه حقدا

فخر النابح

قبيح نجاح المرء إن هو شانه بفخر فلا يقبُح نجاحك بالفخر

(١) جدير (٢) الأحقاد

كأن لم يكن أهلاً له حين ناله
هو الصمت قد يُطرى إذ الفخر لا يطرى
جلا منه عيب النفس من بعد ستره
كذاك حديث المهد بالمال واليسر
ويا رُبَّ نُجْحٍ يسلب المرء رشده ويبدى خصالاً منه تقتل أو تُزرى

نزار الحمد

عدوك مرجوٌّ فان كان حاسداً فلا رحمة ترجى لديه ولا عدل
وليس بنذل كل من صال أو عدا وتاب ولكن الحسود هو النذل

مغفل لمغفل

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم وبلوت من أحوالهم ما يبتلى :
غر يخادعه لئيم عاقل ولبئس حظ المرء إن لم يعقل
كذبوا ، فما عيش الأنام وهزله إلا خداع مغفل لمغفل
يتهارشون على الحياة ورجسها
فعل الكلاب على خبيث الآكل

عبد الرحمن شكرى

جهاد فلسطين

للأستاذ أمجد الطرابلسى

ثارَ فهل تستطيعُ إخمادَهُ عزمٌ أراد اللهُ إيقادَهُ
لا يأتلى مُضطرماً لاهباً أو يلتقَ الظُّلمَ وأجنادَه
ويصرعَ البغىَ وأنصارهُ ويحطِمَ الذُّلَّ وأصفاده
قد وَثَبَ الشعبُ يرُدُّ الأذى ويَنزِعُ الغُلَّ الذى آدَهُ
يُرخِصُ للأوطانِ آمالَهُ طوعاً ، وَدُنياهُ وأولاده
والدَّمَ فوّاراً يُروّى الحِمى أغوارَهُ العطشى وأنجاده
يسكُبُهُ كلُّ فتًى سيِّدٍ لا يرهبُ البَغىَ وإيماده
الدَّمُ فى أعراقِهِ صارخٌ يدعوهُ أن يبعثَ أمجاده
والثأرُ فى خَفّاقِهِ ثائرٌ يدعوهُ أن يُطفِئَ أحقاده
والسيفُ ، قبل النصر ، فى كفِّهِ أقسمَ لا يسكُنُ أغماده
أما سمعتم أمسِ تَزْآرَهُ يُطبِّقُ الأرضَ ، وإرعاده
ذاكم وَعيدُ اللَّيثِ ؛ ويلٌ لمن ينتهكُ الغابَ ليصطاده
تُمزِّقُ العادىَ أنيابُهُ وقد يصيدُ الليثُ صيَّاده

* * *

قُومى فِلَسطينُ على المعتدى وقوّمى بالحقِّ مُنآده
قومى على الذلِّ ، على واغِلٍ سِمَ هوانَ الذلِّ فاعتاده
قد تَخِذَ الخَتْلَ إلهًا له والمالَ والباطِلَ أعضاده
قومى فإن النصر ما عَلَّهُ مِثلُ دَمِ الأحرارِ أوجاده
غيرُ دمِ الأحرارِ لا يُزْهِقُ الـ ـبَغىَ ولا يحطِمُ أقياده
غيرُ دمِ الأحرارِ لا ينقَعُ الـ ـثأرَ ولا يُطفِئُ وَقّاده
غيرُ دمِ الأحرارِ لا يبعَثُ الـ ـمَجدَ ولا ينشُرُ أعياده

* * *

قومى فهل أمجدُ من أُمَّةٍ لا تَرهبُ الجوْرَ وإزباده
قومى فهل أخلَدُ ممن قضى فشادَ للتاريخ ما شاده
ماتَ ليحيا وَطَنٌ مُرْهَقٌ عانٍ يريد اللهُ إسعادَه
قومى وَغنّينا نشيد الرَّدى لا تسأمى فى النقع ترداده
فالموتُ للمغلولِ حُرِّيةٌ والموتُ لا يمنعُ وُرّاده
يأيها العادِى رَيبَ الأذى يا عِترةَ الشرِّ وأندادِه
يا شيعةَ الغدرِ وأنصارَهُ يا عَصبةَ المالِ وعُبّاده
القبلةُ الاولى ، على جودِها ، لا تُكرِمُ الذُّلَّ وأحفاده
لا تُنزِلُ الشذّاذَ ، فى قُدْسِها طرائدَ الغربِ وأوغاده
من ذا الذى ارتادَ لكم مَنزِلاً فى الشامِ ؟ إن القبرما ارتاده !
زُمّوا رِحالَ الشؤمِ من قبلِ أن نبتلعَ الظلمَ وأسناده
فازَ الذى يجمعُ أطمارَه للبَيْنِ ، أو ينزِعُ أوتاده
الفيلُ من يحملُهُ دارَهُ ؟ والسُّمُّ من يحملُهُ زاده ؟
غرَّتكمُ استجامةٌ للحِمى فَخِلتُم للهُونِ اخلادَه
والغابُ لا تستطيعُ إخضاعَهُ حتى تخطى قبلُ آساده

* * *

القصص

من الحياة

أهـــل ووطن

للأستاذ كامل محمود حبيب

أرخى الليـل أستاره السود القاتمة على دنيا غضبى تزمجر فى صوت عاصفة هوجاء ، وسماء ينهمر منها سيل دافق ، وقد قرّ كل انسان فى داره ، ونامت الحياة فى كل حىّ ، والفتى جالس الى موقد فى زاوية الحجرة ، تغمره لُجة من الأفكار المضطربة ، والخواطر التناقضة ، فتحجبه عن دنيا الناس . لقد رأى نفسه تعصف بها حادثات الأيام فتذرها بددا ، فان مدّ يده ليجمع أشتاتها لم يجد منها الاّ صُبابة من نفس لا تستطيع أن ترد اليه جمال الحياة التى عاش شطراً منها بين أهله وذويه ، فى وطنه الأول حيث ملاعب الطفولة ومراتع الشباب . وجاءته الذكريات من أقصى الطفولة تحمل على أجنحتها لذائذ ولذائذ لتنصبّ فى قلبه هموماً وهموماً ، واضطربت جوانح الفتى أن وقف خياله عند الساعة التى أُفزع فيها عن وطنه وأهله فبكى بكاء الثكلى تفقد صبرها حين تفقد قلبها . ما الذى أزعجك عن وكرك أيها الطير وأنت ناعم على فنن تغرّد ، ترى كل مباهج الحياة عند هذا العش الصغير ؟ لقد ضاقت بك الدنيا لأنك تركت قلبك هناك ... هناك فى هذا العش ... !

لم يكن الفتى كَلاًّ على أحد ، ولم يكن معدماً ، ولم يكن ضعيفاً ولا عاجزاً ، ولكنه هجر وطنه وأهله حين لم يجد فيها جمال الوطن ولا عطف الأهل ، وحين لم يجد بين أهله قلباً كقلب أبيه ينبض له نبضات الحنان والرحمة ، ولا رجلاً فى رجولته يفيض عليه من بسمات نور الحياة وجمالها . ووقف خيال الفتى عند الساعة التى همّ فيها بفارق وطنه وأهله تتجاذبه عاطفتان : قلبه من خلف ، وتأبّيه أن يقيم على الضيم من أمام ! ثم غلبته كبرياؤه فانصاع لها تقوده الى حيث يجد أهلاً غير أهله ، ووطناً غير وطنه ؛ أو لا يجد ...

ماذا كان ؟ ماذا كان أيها المنزوى فى ناحيـة من حجرة تحدث نفسك حديث المـاضى ؟

* * *

مرض الفتى فراح يَطبّ لمرضه فى عزم الشباب وقوته ، وأريد على أن يلبث فى مستشفى حيناً ، فما خاطب أهله فى شأنه ، وغاب عنه أن المرض ألم فى الجسم وقلق فى النفس ، وأن الشفاء يحمل الى المريض على كفين : كف الأسى وكف الطبيب معاً

لقد خاف — بادئ الرأى — أن يفزع أهله ان ساق اليهم الخبر فى صورته المزعجة ، فاستأنى حتى ينزع الطبيب مشرطه ،

يا عربُ هيا فانصروا مَوْطِنَا ... للعُرْبِ ، هاجَ القِدُّ أفراده

هناكَ شعبٌ عربىُّ الهوى ... يحاولُ الغاصبُ إفقاده

يسومُهُ الخسْفَ وأغلالَهُ ... ويدّعى بالنـــارِ إرشاده

ثارَ على ظُلاّمِهِ مُكرِمًا ... تُراثَهُ الأسمى وأجداده

عجاهـــداً أقسمَ لا يثنَى ... أو تُعتِقَ الأطواقُ أجياده

شعبُ فلَسْطين يناديكم ... مُستبْسِلاً ، يصرَعُ جلاّده

تُدَمّرُ النيرانُ أبياتَهُ ... وتحصُدُ الأسيافُ أجساده

أخاكمُ يا قوم ! لا تُهملوا ... إرفاده اليومَ وإمداده

رِقّوا لِبَـــلْواهُ وثوروا لهُ ... حتى يُبيدَ الحقُّ أضداده

فذُلُّهُ تُكْسَوْنَ أبرادَهُ ... ونَصرُهُ تجنونَ أورادَهُ

أنجد الطرابلسى

ليرسل إليهم خبراً هادئاً فيفدون على مهل . ونفض جلة حاله أمام ابن عمه الشاب فلم ير هذا فى حديثه إلا صفحة من الاعتداد بالذات ، والتفانى فى الوثوق بالنفس ؛ ثم نظر اليه نظرات ذات معنى وقال : « أيضيرك أن تستعينهم على مرضك ووحدتك ؟ » فقال الفتى : « لا ضير ؛ غير أنى أريد أن أفاجئهم بالخبر » قال الشاب « أفترانى أملأ فراغ قلبك حيناً من الدهر ؟ » قال : « ولِمَ لا وقد عرفتك منذ نشأتى تفيض عطفاً وحناناً ، وتسدى النصيحة خالصة للحب وللقرابة ، وتنير لى طريق الحياة بحكمتك فأسير فى سنا ضوء عقلك . لقد كنت لى جماعة فى فرد . والآن ... والآن أريد أن أعرفك فى مرض . » فصمت الشاب وقد حمّله الفتى العبء وحده ...

* * *

وحمل البرق رسالة الشاب « فتاكم فى مستشفى (كذا) يطب لمرضه وينتظر قدومكم ، لا خوف ... » ثم انطلق الشاب يحمل الى مريضه خبر الرسالة

هل وعى المريض ما قاله الشاب الباسم ؟ لقد كانت وخزات الجرح تنفذ الى قلبه فى مثل طعنات الخنجر وهو يصمد لها فى ثبات وصبر ، وعلى وجهه علامات الضجر ؛ وكان العَرق ينضح من جبينه بارداً غزيراً ليرسم عليه صورة ناطقة لآلامه ومتاعبه . واربد وجه الشاب حين رأى الفتى تتعاوره الآلام ، وتتناهبه الأسقام ، ثم ابتسم فى رقة وهدوء ليداعب صاحبه وينزعه من آهاته العميقة ، ولكنه كان يجهد نفسه ليرتد اليه جهده خائباً مخذولاً

وفى أنة المحزون انقلب المريض الى ابن عمه الشاب يقول : « ماذا فعلتَ ؟ ما ذا فعلتَ ؟ انى أريد اخوتى وأعمامى وأهلى ... آه ما شعرت بالوحدة كاليوم ... ! » ورن صدى هذا الصوت الضعيف فى قلب الشاب طعنات من يد القدر فراح يقول له ...

* * *

ومضى يوم ويومان وثلاثة ... ويد الطبيب تمر رفيقة على جرح المريض فيلتئم صدع منه على صدع ، وتنفرج فى قلبه صدوع وصدوع ، لأنه لم يفز بعد برؤية أحد أقربائه ؛ ولم يستشعر الحنان الا من قلب هذا الشاب الذى يختلس من أوقات عمله فترات من فراغ يقضيها الى جانب مريضه يواسيه ويعطف عليه ويحمل اليه — فيما يحمل — هدية صغيرة ، تنتزعه حيناً من أفكاره المظلمة ...

واستطاع الفتى أن يجلس الى ابن عمه يحدثه : « ما ذا جرى كأنك لم تقص على أهلى خبرى . لقد مضى أسبوع ولم يزرنى سواك . انك تملأ قلبى سلوة وعزاء بجمال جلساتك القصيرة ، ولكن ... » وراح الشاب يتلمس لأهله الأعذار : « من ذا يستطيع أن يقول سأفعل ... لعل حادثاً لم يترام الينا خبره حال بينهم وبيننا ... واضطربت الكلمات على شفتى الشاب حين أراد أن ينزع عن صاحبه بعض أفكاره ، وحين أراد أن يقول له إنه أصاب الهدوء والراحة حين عاقهم ما عاقهم عن أن يسرعوا اليه . اضطربت الكلمات على شفتيه لأنه كان يسمع من أقصى ضميره صوتاً يقول : « أن لا عذر . . . لا عذر اليوم ! » وكان يرى فى إبطائهم استخفافاً وامتهاناً ، غير أن حكمته أبت إلا أن تدل على عينى الفتى ستاراً من الوهم . وما كان للفتى أن يسمع ، وان سمع فما كان له أن يصدق ، فهو وحده يشعر بالوحدة حين يخلو الى نفسه ، وهو وحده يحس ألم الصدمة . لقد أراد أن يفجأهم بخبر هادئ فانصرمت أيام وما رآهم . وتماثل العليل للشفاء ، وهمّ يريد داراً غير هذه ولم ير منهم أحداً . يا ويح هذا الفتى ! لقد راح يطلب الشفاء من علة فى جسمه ، فملأت الأيام قلبه عللا سلبته لذة الشفاء

* * *

وجلس الفتى الى عمه يعاتبه : « أفكان من العطف أن أنبذ فى حجرة ، وحيداً ، متألماً ، مريضاً ، أقاسى ما أقاسى فلا أجد منكم من يزورنى أو يكتب الىّ ؟ لقد كان أبى منكم بالمكان الذى تعرفونه ، وكنت من أبى من تعرفون ؛ أفلا ترعون حقه فى ابنه الملقى على سرير فى حجرة موحشة لا يجد من يواسيه الا ابن عمه الشاب ؟ » وأحس العم عظم الخطيئة فراح يعتذر : « لقد حجبنا عنك موت احدى قريباتك » وانطلق الفتى يقول : « لقد سعيتم الى الميت وقد انتهى ، ولبثتم حول قبره أياماً تبكون ، لتتركوا الحى الذى لا هو بالحى ولا هو بالميت يستروح نسمات الحياة منكم فما يجدها . أفبعد هذا تزعمون ، وتزعمون ... ؟ » وسبقت زلة من لسان العم : « ولكن ... ان لك لمنات ! » فأسقط فى يد

الفتى أن سمع عمه يتشفى ، وآلمه أن ينتقم أهله . لقد زل الفتى مرة وكل فتى يزل ، وما كان لهم أن يعاقبوه وهو يحن الى بعض عطفهم ، وما كان لهم أن ينبذوه فى الهاجرة وهو الشوق الى فىء ظلهم . أى أهل ؟ وأى انسانية ؟ واندفع الفتى المنيظ : « هذا وقت تنسى الهنات ، وتنطوى الزلات . ان لى لهنات لأنى لم أبلغ سنّ العقل ، ولكم أخرى لأنكم لم تبذلوا النصيحة . ولقد كفانى أن تبدى لى الأيام ما كان خافياً ، وان تكشف لى الشدائد عن أشياء كنت أجهلها ، وعن أخلاق ظننتكم ترتفعون عنها ... » ثم غمرت الفتى آلامه فأمسك ، وترقرقت فى عينيه عبرة حبستها الكبرياء فما تبرح ، غير أن أحزانه ثارت فى نفسه فقال : « لقد ظننتكم أهلى ، وركنت اليكم لأنكم أهلى ، وشئت الخير فيكم لأنكم أهلى . أما الآن فيا خيبة الرجاء ويا ضيعة الأمل ! »

ونزت فى العم سورة من غضب أن رأى الفتى الطائش يلومه فيشتد فى اللوم ، ويعاتبه فيسرف فى العتاب ، وألمّ أن يقع بينهما تنابذ ، ولكن الفتى كان قد صهرته الفكرة فى بوتقة من الأحزان حين رأى عمه يتعلق بأوهى الأسباب بعد إذ عاتبه أهله على غير جريرة ، فى جفاء وغلظة ، فرجع الى نفسه يحدثها ويرسمها على أن تلق السلم ، فألقت واضطربت الخواطر فى رأس الفتى ، فتركته موزعا ينحى على نفسه باللائمة أن قل ..

ولشد ما آلمه أن يكون هو ابن أبيه ، ووحيده ، واقتراحه على الله حين أعجزته الأيام عن أن يكون له ولد ، والأمل الباسم فى شيخوخة الشيخ وهو يدبّ على عصاه فى طريق الفناء ؛ ثم يرى أهله ينبذونه فى مستشفى ، ملق على سرير ، فى حجرة موحشة ، لا يأنس الا بوجه ابن عمه الشاب عصر كل يوم ، ثم هم يغلظون له فى الحديث ، ويشتطون فى العقاب . ولشد ما أحزنه ألاّ يكون له فى هذا العالم الا ابن عمه يحنو عليه ، وينظر اليه نظرات فيها العزاء وفيها السلوة ، ويدخل الى نفسه بكلام فى رقة الأصيل لينسيه بعض ما همه ؛ وهو كان يرى — عن كثب — الفتى أو الشيخ من أسرته يصيبه بعض ما أصابه هو فينطلق اليه أبناء الأسرة زمراً زمراً يواسونه ، ويعطفون عليه ، وينزعون عنه آلامه وأحزانه . أما هو ... أما هو ... !

وتناهبته الآلام : آلام المرض ، وآلام الوحشة ، وآلام عزوف أهله عنه ، فأخفى ضعفه المنسكب من عينيه فى منديل

* * *

وخرج الفتى من لدن عمه مطوياً على آلام مبرحة تحز فى نفسه ، وتعض على قلبه حين رأى قلوباً تأكلها أحقادها ، وعقولا تعصف بها ترّهاتها ، وضاقت الدنيا فى عينيه حين انهار مثله الأعلى حجراً حجراً بعد ما رأى من عمه وما سمع ، فهام على وجهه يطلب الفُسحة فى أرض الله ...

وهبت أول نسمة من نسمات الفجر تشهد قلباً كبيرا ينزح عن وطنه ، ويهجر أهله الى حيث تتقاذفه مطارح النوى ، الى حيث لا ينبض لذكره قلب ...

وانصرمت سنون ألبست الفتى شيخوخة باكرة ، ورسمت على فوديه آثار حادثة مروعة استقرت فى خياله فما تريم ، لقد سكن الى وطن وأهل غير وطنه وأهله ، وقلبه ما يزال عند الساعة التى أفزع فيها عن وطنه وأهله يبكى ويبكى ...

ليتك نسيت أيها المنزوى فى ناحية من حجرة تحدث نفسك حديث الماضى ، ليتك نسيت أنك كنت ... !

كامل محمود حبيب

أصدرت مكتبة الجيب

الرحيل

قصة امرأة ينقصها فى الحياة الرجل
ورجل يعوزه الايمان بالحياة
تلاقيا مع الصبح وافترقا عند الغسق
فى البسفور الجميل

لمحمود البدوى

فى مكاتب القاهرة وثمنها قرشان
ويرسلها المؤلف مع كتابه « رجل » نظير خمسة قروش بما فيه البريد وعنوانه ١٠ شارع الأمير بشير بالخلية الجديدة مصر

مأساة من سوفوكليس

٣ ـ أنتيجونى

للأستاذ دريني خشبة

— ٦ —

« تدخل إسمنيه فيخاطبها الملك »

— « ها ! هلا ! أيتها الحية الرقطاء التي ما تبرح تتحوى هي وأختها تحت عرشي ! ماذا عندك من سموم تنفثينها ؟ خبري ! ألست ذات ضلع في هذه المأساة ؟ أم انك ستحلفين بأغلظ الايمان أنك لا تعرفين منها قُلاً ولا كثراً ؟ »

— « إن كانت هي قد حدّثت عني بشيء ، فأنا شريكتها في كل شيء ، ولن أقول شيئاً أتحلل به من نصيبي في القصاص !

فتقول أنتيجونى : « حاشا ! تأبى العدالة أن يحمل البريء وزر الجاني ! أنا وحدي اضطلعت بكل شيء ، ولقد رفضت أن أشركك في أي شيء ! »

— « ولكني لن أدعك في تلك الملمة وحدك ! »

— « الحنان من طرف اللسان لا يعنيني يا أختاه ! الآلهة وحدها تعلم من فعل الفعلة »

— « أوّه ! أنت تأبين على أن أقاسمك شرف الموت معك من أجل شقيق ! »

— « لا ينبغي أن تموتي معي من أجل شيء لم تجنيه ! حسب أخي أن تموت أخت له واحدة في سبيله ! »

— « وماذا أسيغ من مباهج الحياة بعدك يا أختاه ! »

— « سلي كريون يجيك ! إنه كفيل لك بكل هذه المباهج ! »

— « وماذا يسرك من إيلامي ووخزي هكذا ؟ ! »

— « قلبي مفعم بالألم ، ومن أجل ذلك فشفتاي تضحكان عليك ! »

— « وهل لك حاجة أستطيع أن أؤديها لك الآن يا أختاه ؟ »

— « أجل ! حاجتي إليك أن تنجي بحياتك ! »

— « وا أسفاه ! أهكذا يحال بيني وبين مشاركتك هذا الجهد ؟ »

— « ولهْ ؟ قد اخترت الحياة ، أما أنا فقد فضلت الموت ! »

— « لقد نصحت لك ! »

— « أجل ! لقد نصحت لي ! وقد يحمد لك تيهك في هذا العالم الفاني ، أما أنا ، فستحمد لي الآلهة تفانيّ وحكمتي في العالم الباقي ! »

— « ولكنا سيان في هذه الزلة

— « لا تزعجي يا عزيزتي ! ستعيشين طويلاً ! أما أنا ، فقد قدمت حياتي قرباناً للموتى منذ زمن طويل . واذ يبلغ حوارهما هذا الحد ، يقول الملك : « إحدى الفتاتين قد فقدت صوابها كله ، أما الأخرى ... فلا صواب في رأسها البتة ! !

فتقول إسمنيه : « مولاي ! في مثل هذه المحنة لا يملك أحد صوابه ! »

فيقول الملك : « على كل حال لقد فقدتِ صوابك بمحاولتك مشاركة هذه المجرمة في إجرامها !

— « وما قيمة الحياة لدي إذا فقدت أختي يا مولاي ؟

— « لا تقولي أختي ! إنها لا شيء ! لا شيء منذ الآن !

— « ماذا ! ! أتقتل خطيبة ولدك ؟ أتقتل أنتيجونى ؟ »

— « النساء كثير يا إسمنيه ! »

— « والحب ! ! الحب الذي ألّف بين قلبيهما يا مولاي ؟ »

— « ومن يبتغي رفيق إفك وعرس خبث لولده ؟ »

وما يكاد الملك يقولها حتى تنتفض أنتيجونى انتفاضة هائلة وتقول :

— « هايمون ! حبيبي هايمون ! كم ذا يسيء أبوك اليك ! »

فيقول الملك : « بل أنت وزيجتك النكراء شجو على ، وظلام في حياتي !

ويتساءل رئيس المنشدين : « وهل تفصل بينهما يا مولاي ؟ أتحول بينها وبين ولدك ؟ »

فيقول الملك : « انه الموت وحده سيحول بينهما ! »

— « اذن ... انقشعت سحب الريب ! ستقتل الفتاة ! »

— « ما في ذلك شك ! أيها الجنود ! هلموا بها الى السجن ! ستذوب شجاعتها حين يقترب الموت من عينيها العنيدتين ... »

« يقودها الجنود إلى الداخل وتتبعهم إسمنيه في أثرها »

— ٧ —

ويأخذ المنشدون في نشيد طويل حلو ملىء بالعبرة مبلل

بالدموع ، ويذكرون محنة بيت قدموس منشىء طيبة وجد أوديب ، ثم يرتلون صلاة شعرية لزيوس مايوشكون يفرغون منها حتى يقبل هايمون المسكين العاشق — خطيب أنتيجونى — فيخاطب رئيس الخورس الملك قائلاً :

— « هايمون أيها الملك ! ولدك الأوحد ، وآخر عُسلوج فى دوحتك ! ها هو ذا مقبلا وقد حطمه الهم ، وهدمته المصيبة الفادحة .. . أوه ! إنه يبكى ! يا للآلهة ! أيذرف الدمع من أجل حبيبته ... الضحية ؟ أم هو قد جاء يلتمس منها نظرة للوداع ؟! »

« يدخل هايمون »

— « من يستطيع أن يحدس ؟ سنعلم كل شىء فانتظر . (مخاطباً ولده) أحق يا بنى أنك جئت الى هنا مدفوعاً بثورة من الهم مما آل اليه أمر خطيبتك ؟ أكبر ظنى أن حبك اباك سيرجح عندك كل حب ، وطاعتك اياه ستبرر لديك تصرفاته مهما تكن ! »

ويصبر قليلاً كمن جف لسانه من الظمأ والغشية ، ويقول : « أنا ابنك يا أبتاه ! سأخضع لكل ما ترى من رأى ، ولن أؤثر على محبتك أجل حبان الخلد »

— « بورك فيك يا ولدى ! لقد كان هذا أكبر رجائى فى رجاحة عقلك وعظم قلبك ! إنه ليس أحب إلى الآباء من ذرية صالحة طيّعة يخزون بها الأعداء ، ويسرون بها الأصدقاء ؛ وإنى لأثق أن هايمون اللبيب لن يفقد صوابه من أجل امرأة ! اسحقها يا بنى كما تسحق ألد أعدائك ، وابعث بروحها الشريرة تبحث لها من زوج شرير فى ظلال هيدز ! ! لقد ثارت وحدها على الملك وعلى مجلس طيبة ، وقد صممنا على إعدامها من أجل ذلك ، ولن ننكص على أعقابنا فيما أبرمنا ! إننا هنا لا يُعلى علينا ونحن أصحاب الأمر والنهى ، وقد ركزت المدينة الخالدة سلطانها المبين فى شخصنا فيجب أن نُطاع إطلاقاً ولو كانت أوامرنا ضرباً من الشطط ... إنه لا يهدم عظمة الشعوب كقيام الرعية ضد ملوكها ولا يهزم الجيش المرصرص ذا الأيد كعصيان جنوده قواده ! وسيرى الجميع أننى هنا لأحمى القانون ، وأننى لست هنا لأذل أو أتقهقر امام امرأة ! »

ويقترب رئيس الخورس من الملك فيقول : « الحق قلت ، والحق دائماً تقول ! »

ويتقدم هايمون الى أبيه الملك ، ويشهق شهقة هادئة ويقول :

— « مولاى ! السداد بذرة صالحة تزرعها الآلهة فى نفوس الصالحين ! ألا كبرت كلمة أن أقول انك أخطأت يا أبى ! ولكنى كابنك الأمين أرى لزاماً على أن أتقصى أقوال الناس وأفعالهم ، بل وآراءهم أيضاً فى ملكى الذى هو والدى ؛ وأكبر ظنى أن سلطان الملك يلجم أفواه الناس فما يجيرون ؛ بيد أننى سمعت همساً أن الطيبيين على بكرة أبيهم يذرفون الدمع مدرارا من أجل الفتاة التى أمرت باعدامها ، وأنهم يرون فى قضية القتيل رأيها ويؤيدونها كل التأييد . على أنها ماذا صنعت هذه الفتاة ؟! لقد دفنت أخاها الذى غودر مضرجا بدمه ، معفرا بثرى الجلبة ، وأشفقت أن تدعه لكلاب الفلاة وبواشق الطير تنوشه وتتغذى به .... ألا وآلهة الأولمب إنها بالمكافأة أخلق ، وبالعطف والاعجاب أحرى ! بذلك تتلجلج ألسن القوم يا أبتاه ، وهم يرددونه فى كل مكان ، فمن لك بمن يبلغك أقاويلهم غير ابنك الذى يحرص على سمعتك ونقائك كما تجهد أنت أن تبنى له مستقبله وشهرته !! أبدا لا تسمع للذين يفتنونك عن نفسك حين يقولون لك انك لا تعمل الا الصواب ولا تنطق عن الهوى .: فمثل ذلك لا يكون بشراً ، فى حين يخطئ البشر ويصيبون ! ألا وان من بدعى أنه أحكم الناس واطيبهم كلمة يتكشف لك اذا خبرته عن خواء ، وعن فؤاد هواء ! أبى ! ليس فى الاصاخة للحق ما يُخجل ، ولا فى الرجوع عن الخطل ما يخزى ! ألا وان أضعف الكلأ ليقف لسيل العرم لأنه يلين له ، فى حين يجرف سيل العرم أذهب الدوح فى السماء لأنه يأبى أن يلين لشىء ! ألا وان الملاح الذى لا يرخى العنان لهوج الرياح يكسر قلاعه ويفقد فى اللجة آماله ، فأى عار فى أن تلين يا أعز الآباء ؟ ! اننى ما أدعى الحكمة ، ولا أقول بعلم كل شى ، ولكنك غذوتنى ، ونشأتنى على الرأى السديد والتبصر ، فأنا أعظك أن تكون ممن لا يرى الا رأيه ، أو يتبع هواه فيردى ! »

ويلمح رئيس الخورس وجوماً بين الأب وابنه فيتدخل قائلاً :

— « مولاى ! لا ضير أن تصغى لما فى نصيحته من حق وانت يا هايمون ينبغى أن تنتفع بتجاريب مولاك ! »

فيقول الملك : « ها ... هاها ... بعد هذه السنين وذلك

الشيب يرشدنا هذا الصبي الطرير !! »

فيقول هايمون : « بما هو حق فحسب ؟ ولا حساب للسنين في ضرورة تنزل بك تلهرية ! »

— « وأي ضرورة في أن تلوذ بأذيال الثائرين ؟ »

— « أبداً لم ألذ بأذيال مجرم أفاق يا أبي ! »

— «وله ؟ أليست قد نهضت عليها الأدلة ودمغتها البراهين»

— « حاشا : إن طيبة كلها تنكر ذلك ؟ ! »

— « وهل طيبة تحكمني أم أنا الذي أحكم طيبة ؟ »

— « في الحق انها هي ... لولا أن تُسَفِّه نعومة سني وتنسبني للزق !

— « أي ان آخرين يشركونني في أمري ؟ ! »

— « ان رجلاً بمفرده لايقوم مقام مدينة بأسرها يا أبي ! »

— « أو ليست كل مدينة في قبضة ملكها ؟ »

— « هذا اذا كان الملك يحكم كشباناً في صحراء !

ويكون الملك قد عيل صبره فيقول :

— « اذن ... أنت حامي المرأة أيها البطل الصغير ؟ »

— أنت هو المرأة ! ... وأنت وحدك الذي تعنيني ! ! »

— « وقح ! ! تأبى إلا أن تناقش أباك ... سفسطة ! ! »

— « بل أجهد أن أردك عن التمادي في خطئك ! »

— « وأي خطأ في أن أؤيد سلطاني وأحفظ وقاري ؟ »

— « وأي وقار في تحقير الآلهة ؟ »

— « أيها الشرير ! يا من تأخذ بزمامك امرأة ؟ »

— « أجل ... ولكنها لن تقودني الى مفسدة ! »

— « ولذا بذلت لها دفاعك ! »

— « بل بذلته لك ولي ... وبذلته من أجل الآلهة في الدار الآخرة ! »

— « انها لن تعيش حتى تكون زوجتك في هذه الدار الأولى ! »

— « أعرف ... وأعرف أيضاً من تكون سبب خرابه وانهياره بموتها ! ؟ »

— « هه ! أنت تهدد وتتوعد أيها العاق (ياقليل الأدب !)»

— « ليس يتوعد ولا يهدد من يقول قولة الحق ... والحق الصراح ! »

— « هه... هاها...ستدفع ثمن هذه القحة ! أيها الناصح الغبي ! »

— « لو لم تكن ملكي وأبي ، لزعمتك مذهوباً به ! ! »

— « أنت ! أيها الفتون ! يا من تصبيك امرأة ! أصمت ! لا ترد علي !»

— « ليكون كل الكلام لك ! »

— « محال ! هذا محال ! لا بد أن تجرع كأس المنون بين يدي عشيقها ! لا بد أن تردى أمام ناظريه وملء عينيه ! الى بها . . . »

— « بل هذا هو المحال ! لا تحلم يا أبتاه بتجريعها كأس الموت من يديك أمام ناظري ... بل لا تحلم بأن تراني آخر الدهر بعد الآن ! » (١)

« وينطلق هايمون »

— ٨ —

ويقول رئيس النشدين : « مولاي ! لقد أخذ الغضب منه كل مأخذ ، والشباب الغضب يركب رأسه اذا أهين كبرياؤه ، وقد يأتي من الفعال ما لا تحمد عقباه !

— « ليفعل ما بدا له ! ليركب رأسه في طريق من الشوك انه لن ينقذ الفتاتين مما قسم لهما »

— « الفتاتان ! وهل تُقتلان كلتاهما ؟ »

— « معك حق ! بل الطائشة وحدها ... تلك التي فعلت الفعلة ! »

— « وبأية طريقة توقع عليها عقوبة الاعدام ؟ »

— « في القبو ! ! القبو المظلم تحت هذا القصر . ستنفرد فيه وسيفرش لها مهاد من الشوك يخز روحها وبدنها حتى تموت ولتعبد هنالك آلهتها ... آلهة الفناء ... حتى تقضي فيها قضاءها ... »

« ويخرج كريون »

(لها بقية)

دريني خشبة

(١) تحسب أن هذه الثورة من سوفوكليس على سلطان الآباء هي الأولى من نوعها في تاريخ الأدب . وكم تلذ المقارنة في ذلك بينه وبين صمويل بطلر في كتابه (The Way of all Flesh) وبينه وبين شو في قصته (Misalliance)

تصحيح

جاء في مقال « مقتل أبي الطيب المتنبي » المنشور في هذا العدد صفحة ١٢١٤ سطر ١٣ من العمود الأول : « نقام فانك ونفض ثوبه من رتوت الأعاريب الخ ... » وصوابه : « نقام فانك ونفض ثوبه وجم من رتوت الأعاريب ... »

البريد الأدبي

الأدب الهندي في مختلف أطواره

تتكون اللغة الهندية الحديثة من ثلاثة عناصر ؛ من أصول سنسكريتية خالصة ، ومن أصول سنسكريتية حورت بحسب الحاجة ، ومن أصول حديثة مبتكرة أو مشتقة من اللغات الأخرى وهذه الأصول الثلاثة هي اليوم قوام اللغة الهنـدية المعروفة «بالهندستاني» أما اللغة الهندية التي اشتقت من الأصول الفارسية والعربية فتسمى باللغة الأوردية

ويبدأ الأدب الهندي ، كما تبدأ معظم آداب العالم ، بالشعر ؛ وينقسم الشعر الهندي القديم إلى ثلاث مراحل تتمشى مع سير التاريخ الهندي . فمنذ القرن العاشر الى القرن الرابع عشر حيث تكثر الحروب الأهليـة والغزو الأجنبي ، يسود الشعر عنصر الفروسية ، وكان الملوك يومئذ يلحقون الشعراء بحاشيتهم ، ليثيروا الحماسة في الصدور بشعرهم . وكان أعظم شاعر في هذا العصر هو شاندبارداي صاحب المقطوعة الشعرية الخالدة : « پرتفيراج رازو » ، ويليه الشاعر بوشان صاحب مقطوعة « شيفاباواني »

وبعد الفتح الاسلامي ضعف شعر الفروسية في الهندية ؛ فقد رأى الهنود ما أصاب دينهم من الذلة ومعابدهم من الهدم ، فاتجهوا نحو الشعر الديني ، واستمرت هذه المرحلة من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر ؛ وينتمي جماعة من أقطاب الشعر الهندي الى هذا العصر مثل كبير ، وجورو ، وناناك ، وجياسي ، وميرابي ، وكبشافا ، وصور ، وتولسي ، وتولسيداس وقد وهب هؤلاء الشعر الأدب الهنـدي تحفاً رائعة من الشعر الخالد ؛ وكان تولسيداس بالأخص نبياً كما كان شاعراً عظيما ؛ وكانت تحفته الخالدة « رامايان » عاملاً في توثيق أواصر الوحدة الهندية . وقد ساهم الكتاب المسلمون في نهضة الشعر الهندي في ذلك العصر ، وان لم يكن شعرهم كله من النوع الديني

وأما المرحلة الثالثة من شعر العهد القديم ، فقـد عرفت بمرحلة الشعر الشرعي ؛ وقد ساد فيها السلام نوعاً ، واتجه الشعراء الى التنوع والابتكار ؛ وكان أشهر شعرائها بهاري ، وماتيرام ، وبوشان ، وصردهار كاويرايا

وبعدئذ طرأ على الشعر الهندي تطور عظيم ، وأخذت الهندية الحديثة تحل تدريجياً مكان الهندية القديمة ؛ وتطور الشعر ذاته فأخذ الشعراء يصفون الطبيعة والمسائل الاجتماعية والسياسية ، وكان البنديت شريدار باتالا في مقدمة الشعراء الذين استعملوا الهندية الحديثة ، ومن مشاهير الشعراء المحدثين أيضاً ، أوديا سنغ أو باديايا ، ومهابير دثيدي ، ورمشاريت أو باديايا ، وسريماتي مادبي فارما

وأحدث أطوار الشعر الهندي ، هو توجهه نحو « التصوف » وقد كان البادئ بهذا النوع الحديث من الشعر الشاعر الأمريكي والت هويتمان

* * *

وكان في الأدب الهندي قبل مجيء الانكليز قليل من كتب النثر ، وكان سادا سكلال ، وانشاء الله ، وسادالا مسرا طلائع النثر في الأدب الهندي ، ثم جاءت البعثات التبشيرية بعد ذلك وترجمت الكتب النصرانيـة إلى الهندية ؛ وألف الكاتب ساراسواتي كتبه بالنثر ومنها كتابه الشهير «ستيارث براكاشي» وذلك لكي ينشر دعوته الشهيرة « الآرياسماج » ، وكان أعظم الكتاب الناثرين في هذا العصر بارتندو هاريشاندرا ، فكتب بالنثر عدة قصص تمثيلية وأذاع دعوة النثر بين أصدقائه ؛ وظهرت في ذلك العهد أيضاً بعض المجلات التي تكتب بالهندية المنثورة ، ويعرف هذا العهد بعهد بارتندو

ويعرف العهـد الثالث من النثر الهندي بعهد « ماهابير براساد » ، ففي سنة ١٩٠٣ انتخب هذا الكاتب الشهير لتحرير مجلة « ساراسواتي » في الله آباد ، وقد كانت أشهر مجلة أدبية في ذلك العهد ، وقد استطاع ساراسواتي أن يخلق بواسطة هذه المجلة معياراً جديداً لكتابة النثر الهندي ، وأن يعاون على الظهور كثيراً من كتاب الشباب

ويبدأ النقد الأدبي في الأدب الهنـدى من ذلك التاريخ ، وكان أشهر النقدة يومئذ المهابير براساد دويفيدى ، والنبديت شارما ، وبابوشيامسوندرداس ، والنبديث شوكلا

ويمتاز العهد الحاضر من النثر الهندى بنشاط جم فى جميع الفنون ، وقد أدت ترجمة القصص البنغالية الحديثة إلى العناية بوضع قصص هندية مسرحية ، وفى مقدمة مؤلفى المسرح اليوم جايشانكار براساد ، بيد أن الرأى العام لا يهتم الآن كثيراً بهذا النوع من الأدب بعد أن زاحمه القصص العام والسينما

وأهم أنواع الأدب الهندى المنثور اليوم هو القصص ، وقد أدخلت القصة القصيرة إليه حديثاً ، وأعظم كتاب القصص الهندى هو « مونشى برمشاند » ، وقصصه من أعظم وأرفع الأنواع ، ولو أنها توصف أحياناً بأنها مغرقة فى المثل ، وأسلوبه نموذج للشباب

وأما جايشانكار براساد فهو فنان وشاعر يضع قطعاً مسرحية فوق مستوى القارئ العادى

وأشهر كتاب القصص فى الهند اليوم هم سودارشان ، وأورجا وشاتورسن ساسترى ، وجاناندرا ، وهنالك مئات الكتاب الشبان الذين ينقطعون لكتابة القصة ؛ ومادة القصص هى فى الغالب المسائل الاجتماعية والسياسية ، وهنالك قليل من الكتاب الفكهين

وهنالك مجلات هنـدية كثيرة من الدرجة الأولى ، ومن أشهرها : شاند ، وسارسواتى ، وهانس ، ومدهورى ، وآرج ، وبرأتاب ، وتافيوج ، وفارتمان ، وغيرها

أما الأدب العلمى فلم ينضج فى الهندية بعد ، ولم يكثر إنتاجه . ذلك أن الهندية ليست وسيلة للتعليم الفنى ؛ ومع ذلك فقد ظهرت بالهندية عدة كتب علمية وفنية

ومن الظواهر الجديدة فى الأدب الهندى ، أن كثيراً من الكتاب الذين لا يتكلمون بالهنـدية يكتبون اليوم بها ؛ ومن هؤلاء أمير خوسرو ، ورحيم ، وأمير على مير ، وغيرهم من الكتاب المسلمين

كتاب جديد لمارى ستوبس

صدر أخيراً كتاب جديد للدكتورة مارى استوبس M. stopes التى اشتهرت بمباحثها عن الحياة الزوجيـة ، عنوانه « تطور الحياة عند الرجال والنساء » Change of Life in Men and Women وتعالج الدكتورة استوبس فى كتابها الجديد ناحية جديدة من الحياة الزوجيـة هى التطورات التى تطرأ على علائق الزوجين وعواملها النفسية والاجتماعية ، وتحول عواطف الشباب إلى عواطف الكهولة ؛ وتتناول بين موضوعات كتابها ما يأتى : التقـدير الحسن والأزمات ، التطور فى الرجل والمرأة . بعض عوامل فسيولوجيـة فى الرجل ، بعض عوامل فسيولوجية فى الجنسين ، بعض هذه العوامل فى المرأة ، بعض وسائل المعالجة .. الخ وللدكتورة ستوب شهرة واسعة جداً بين الشباب الإنكليزى وهو يقبـل على قراءة مؤلفاتها بشغف ؛ مثال ذلك أنه بيع من كتابها عن « الحب الزوجى » نحو مليون نسخة فى عشرين عاماً ؛ ولها عدة كتب أخرى تلاق فى انكلترا وأمريكا مثل هذا الانتشار الدهش

أثر تذكارى للموسيقى لست

من أنباء النمسا الأخيرة أن الحكومة النمسوية قد أعدت أثراً تذكارياً للموسيقى النمسوى المجرى الكبير فرانز لست لينصب فى مدينة ايزنشتات من أعمال مقاطعة بورجنلند النمسوية ، وذلك بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ومرور مائة وخمسة وعشرين عاماً على مولده ؛ وقد ولد لست فى سنة ١٨١١ فى ريدنج من أعمال المجر يوم كانت قطعة من الأمبراطورية النمسوية ودرس فى فينا وباريس ، ونبغ فى الموسيقى تأليفاً وعزفاً ، وطاف عواصم القارة وبهر مجتمعات ذلك العصر ببراعته وسحر عزفه ؛ وفى سنة ١٨٦٥ اعتزل الحياة الدنيا واعتنق الرهبنة ، ولكنه اشتغل بالموسيقى الكنسية ، وألقى فى كنائس أوربا الكبرى عدة قداسات موسيقية اشتهرت فى ذلك العصر ، وحجت اليها الجماهير من مختلف أنحاء العالم ، وتوفى لست فى سنة ١٨٨٦ ، ومع أن لست كان مجرياً بمولده ، فهو نمسوى التربية والفن ، ولذلك رأت الحكومة النمسوية أن تكرم ذكراه بصنع هذا الأثر التذكارى ونصبه فى مدينة ايزنشتات وهى التى عاش فيها لست أعواماً طويلة ، وهذا الأثر عبارة عن تمثال رائع قام بصنعه المثالان الشهيران بارای وتسانباور ؛ وقد أجرى وفع الستار عن الأثر التذكارى فى حفل رائع فى مدينة إيزنشتات . خطب فيه وزير المعارف ونوه بعبقرية الموسيقى الشهير ، واختتمت الحفلة بعزف بعض قطع شهيرة من تأليفه